عذارى

مسرحية شعرية

الكتاب : مسرحية عذارى
الكاتب : علي الشرقاوي

الطبعة : ٢٠١٥

الناشر : وكالة الصحافة العربية (ناشرون)
٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكو ر- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ – ٣٥٨٦٧٥٧٦ – ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣
APA
http://www.apatop.com E-mail: news@apatop.com

دار الكتب المصرية
فهرسة إثناء النشر

الشرقاوي، علي مصطفى
مسرحية عذارى – علي الشرقاوي – الجيزة – وكالة الصحافة العربية، ٢٠١٥
ص ، ١٨ سم .
تدمك : ٦ – ١٧٤ – ٤٤٦ – ٩٧٧ – ٩٧٨
أ. العنوان رقم الإيداع : ٨٠٠٦ / ٢٠١٥

عذارى

مسرحية شعرية

علي الشرقاوي



إهــداء

لمائها

الذي حوّلني

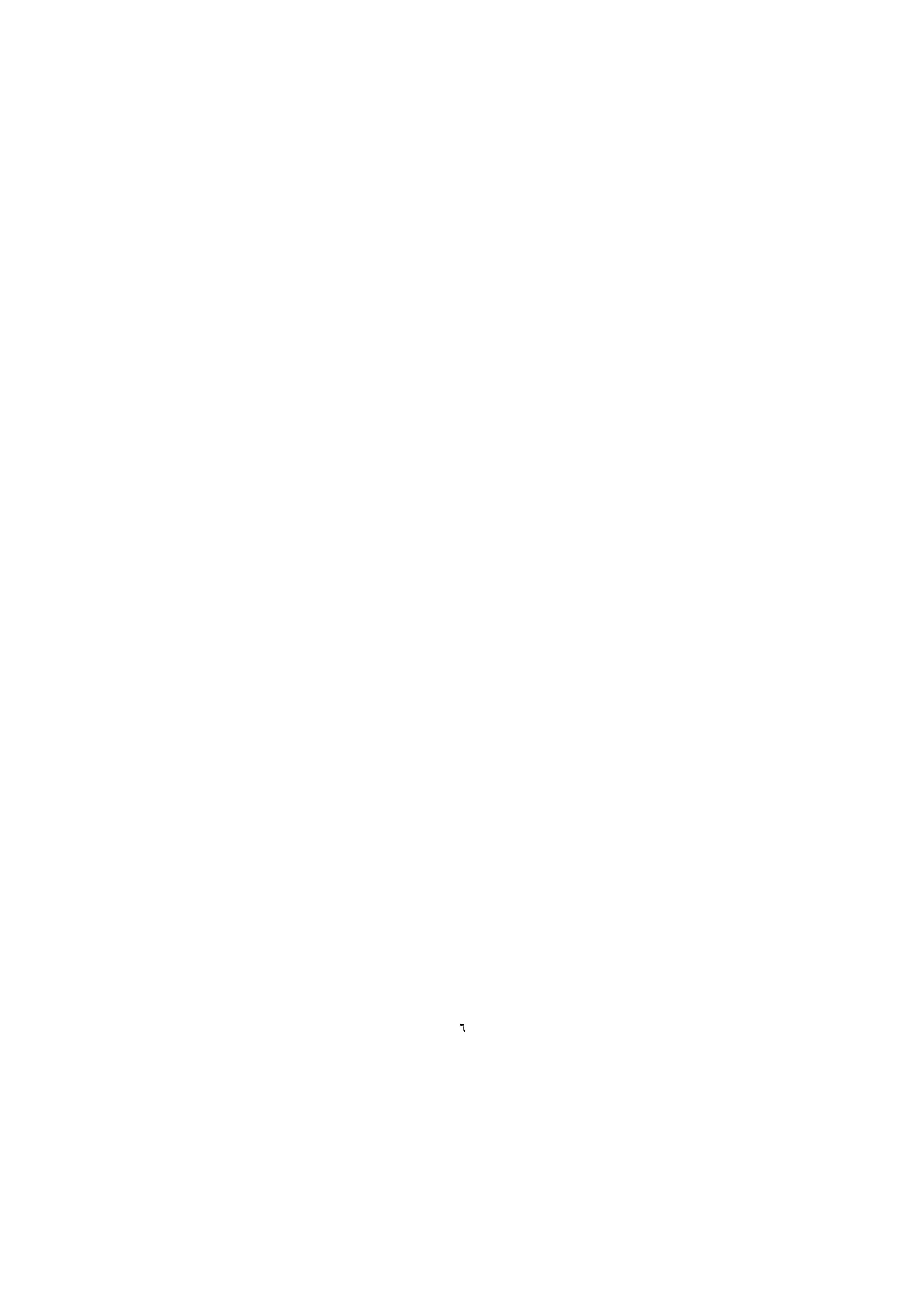
إلى عطش دائم

ع.ش

عذارى

الجزء الأول

الحلم



الشخصيات

عذارى	سيدة
بوزيدان	أطفال
ميناماس	الربان
سماهيج	الكهنة
باربااروس	الهرم
سترة	العجوز
مقشاع	فلاح ١
سينياباس	فلاح ٢
واديان	عبد ١
القائد	عبد ٢
جنود	عبد ٣
فلاحون	عبد ٤



المشهد الأول

صباحاً

حديقة قصر

عذارى – أبوزيدان

عذارى (وهي تتنفس بعمق): ما أجمل هذا الجو المستيقظ كالزهرة في قلب التربة!

ما أروعه! لكأن ربيع الأرض تجمعّ في محارة هذه الدنيا تايلوس.. (تمشي) جسدي ملَ من الثوب الشتوي. أحسُ بأن مساحات الجلد طيورٌ جائعةٌ يخنقها الليل وآن لها أن تتنفس.

(ترى فلاحاً في الجانب الآخر من الخشبة. الفلاح معطيا لها ظهره ويجلس على ركبتيه يشذب شجرة صغيرة. هو أبو زيدان).

عذارى: يا فلاحأبوزيدان(يتلفت بسرعة فيسقط، عذارى تضحك): أ.أ. أ أنا!!

عذارى (وهي تواصل الضحك): طبعا أنت. فلا يوجد أحد غيرك. ما اسمك يا فلاح؟

أبوزيدان: أبو زيدان. (وهو ينظر إلى الأرض)

عذارى: أبو زيدان!! ولكنك مازلت صغيرا!! هل أصبحت أباً في هذا العمر؟

أبوزيدان (يبتسم وهو ينظر إلى تحت قدميه): لم أصبح بعد، ولكن قريتنا تتوسم فيمن يولد يوم الجمعة أن يصبح كالماء. يزيد عن القرية كي يروي الأخرى.

عذارى: الآن فهمت

(أبو زيدان يواصل تشذيب الزهور)

عذارى: أبو زيدان!!

أبو زيدان: نعم

عذارى: كان هنا قبلك فلاح هرم يجثو فوق الزرع كما تجثو أنت الآن.

أبو زيدان: أبي!! داهمه المرض، فأتيت بديلاً عنه. فأبي يخشى أن يقترب الأصفر من رائحة الخضرة. فالزرع بلا الماء يموت.

عذارى: لماذا لم تأت معه من قبل؟

أبو زيدان: أبي لا يحتاج إلى أحد. وأنا بعض الأحيان أقوم ببيع محاصيل المزرعة اللوزية في الطرقات.

عذارى: أية مزرعة هذه؟!

أبو زيدان: مزرعة القائد مقشاع.

عذارى: وهل هذا يملك مزرعة؟!

أبو زيد: مزرعة**!** قولي يملكُ**!** (متردداً) لكن من أنتِ؟

عذارى **(ملتفتة)**: أنا!!

عذارى **(بشيء من التلعثم)**: جاريةٌ في هذا القصر. وجدت الجو ربيعياً فخرجت، مهيئة نفسي أن أستنشق عطر الأرض.

أبوزيدان: أبي أوصاني ألا أتكلم أو أسأل عن شيء لا شأن لنا به.

عذارى: ولماذا؟

أبزيدان **(مغيراً الموضوع)**: أتحبين الوردة؟!

عذارى: هل في الدنيا امرأة لا تعشقها؟!

أبو زيدان: أسمعتِ قصتها؟!

عذارى: من؟

أبو زيدان:الوردة.

عذارى: لا.

أبو زيدان: الوردة كانت امرأة خضراء كساحل تايلوس. الأفق يمشطها والغيم على كتفيها. ترعى الأمواج وتنتظر الآتين من الغوص على اللؤلؤ. حين تراها العين لثانية. تحلمها طول العمر.

(يتوقف)

عذارى: واصل.

أبو زيدان: لكن هاجمها القرصان.. أراد لها أن تصبح جاريـــة في قصره. رفضت. ظلّ يعذّبها. منع الماء فقامت تشرب من داخلها. منع الضوء فقامت تنظر من أخضرها. منع الطين فظلت تأكل من لحن الفلاح. وظل يعذبها ويعذبها ويعذبها.

عذارى: هل رضختْ؟!.

أبوزيدان: لم ترضخ، لكن ظلت تجمع كل عذاب العمر. تحركـــه بقعة دم.

عذارى: والشوك؟!

أبوزيدان: بقايا أطراف مقاومة الوردة للقرصان. فلم يقدر يوما أن يملكها. ولهذا لا يعرف أن يقتطف الوردة إلا من يزرعها.

عذارى: إني أحسدها. أتمنى لو كنت الوردة.

(صمت) ماذا أوصاك أباك؟

أبو زيدان: (مباغتا بالسؤال): لا تنظر للأعلى.

عذارى: لكنك تسقط إن لم تنظر للأعلى. انظر لوجهي.

أبو زيدان: لا أقدر. فالعين كما قالوا في قريتنـــا لا تعلـــو فـــوق الحاجب.

عذارى: الحاجب!! لست الحاجب. فأنا جارية.

أبو زيدان: أعرف هذا، لكنك في القصر ومن يعمل في القصر لـــه سطوة أهل القصر.

عذارى: كلام لم تسمعه أذني من قبل. تأمل وجهي.

أبو زيدان: من يجرؤ أن ينظر للشمس؟

عذارى: أتراه جميلاً؟!

أبو زيدان: أجمل من أجمل وجه في الكون.

عذارى (**ضاحكة**): كيف تراه وعينك ملصقة بجذور الأرض.

عذارى (**وهي تضحك**): هل قلبك مرآة؟

أبو زيدان: مرآة تتحرك. تنطق. تبكي. تشعرُ. تنظر ما لا تنظـــره العين.

عذارى: كلامك شعر. من أين أتيت به؟!

أبو زيدان: لست سوى فلاح. أروي الزرع. أشذبهُ وأقوم بتنظيف الأرض من الفطر الضار وأحرق أعشاباً لا تصلح إلا للتسميد. فلا تعطيني صفة ليست لي.

(في هذه اللحظة تخرج الوصيفة العجوز سترة)

سترة: يا مولاتي. الكل يفتش عنك.

(عذارى تركض للداخل. مخلفة أبا زيدان مفتوح الحلق من الدهشة)

أبوزيدان: من هذه البنت؟

سترة: ألا تعرفها؟!!

أبو زيدان: لا.

سترة: فلاح لا يفقه شيئاً.

أبو زيدان: من هي؟

سترة: ابنة مولاي خليل البحر.

أبو زيدان: عذارى.

سترة: قل سيدة العذراوات.

(أبو زيدان يفتح فمه دهشة)

(إظلام)

المشهد الثاني

القصر

ميناماس. باربا روس. مفشاع. مجموعة من الفلاحين مجموعة من الأعيان.

ميناماس: هذا ما كنت أريد التأكيد عليه. مشاركة الآخر بالرأي. فمهما كان الإنسان حكيما كالبوم، قويا كالنسر، له سيف القرش ومكر الثعلب، لايمكن أن يحمل هم المخلوقات على الأرض. أريد من الكل مصارحتي بالرأي، بلا خوف يشعره الفلاح، ولا أي مداهنة يتقنها الأعيان. أريد لهذا العالم أن يعرف أن جزيرة تايلوس ليست أرضا حوطها البحر ولا بحراً يخزن في داخله اللؤلؤ. قوة تايلوس هي قوة هذا الإنسان الطالع كالنخلة منها. قوة هذا الحب المعجون برائحة البحر وأشواق الرمان إلى النضج. وقوتنا في أن نبني ما لم يعرفه الآباء. نرى المتحرك لا الجامد فينا. فلتكتب هذا يا باربا روس.

باربا روس: إني أكتب يا مولاي.

مقشاع: وهمٌ لا يعرفه الواقع.

ميناماس: بل أحلام سنحققها في هذا العمر، فما الدنيا إلا مجموعة أحلام يحلمها البعض لينجزها البعض الآخر، وإذا حلم الآباء قديما بحياة أكثر أفراحا. أكثر إشراقا، فعلينا نحن الأبناء بأن ننجزها في هذا العصر.

الأعيان (في جوقة): نبغي شق الأرض، وحفر الآبار، وزرع شجيرات القمح بهذه التربة من أقدام جزيرتنا حتى رأس البر.

الفلاحون (في جوقة): نبغي تخفيف الأعمال، بناء الأكواخ، وردم بحيرات البعوض، مشاركة الفلاحين بجزء من محصود الزرع.

الأعيان: نبغي فتح الأسواق واستيراد الناقص من حاجات التايلوسيين وإلغاء ضرائب تجميع بضائعنا في الميناء.

الفلاحون: نبغي تعليم الأطفال وتوسيع أماكن إيواء المرضى والجرحى والأيتام وإلغاء قوانين حقوق السيد في قتل العبد. وحق الوالد في قتل الابن وحق الزوج بقتل الزوجة.

ميناماس: اكتب يا بارباروس.

بارباروس: والإجراء؟

ميناماس: ليمنح كل أجير قطعة أرض يزرعها.

الأعيان: لو أعطيناهم أرضنا يا مولاي فلن نجد الفلاح ليعمل فوق أراضينا.

ميناماس: من يزرع تربته يجنيها محصولاً لا يتصوره العقل. علينا أن نتعاون في أن نجعل من تايلوس الشهلاء حديقة أفراح. لا يمكن أن يعطي من لا يملك.

مقشاع: هذا يعني الحاجة للحرب على المدن الأخرى، حتى يتوفر ما تحتاج إليه تايلوس من عمال.

ميناماس: لا نحتاج إلى حرب ضد الناس، ولكن نحتاج إلى حرب ضد الجشع الجاثم فوق جزيرتنا.

مقشاع: هذا وهم.

الأعيان: نحتاج إلى الاستيراد.

ميناماس: أكره اسم الاستيراد. سنجعل من تايلوس ميناء للعالم، نأخذ شيئا من منتجات العابر منها. تايلوس سيدة الدنيا. لا تحتاج إلى أحدٍ غير أهاليها. ولن تأكل إلا ما تزرعه تربتها. اكتب هذا يا بارباروس.

بارباروس: إني أكتب يا مولاي.

مقشاع: أوهام لا يتقبلها العقل.

ميناماس: بل أحلام يا مقشاع.

الأعيان: سنكون لتايلوس عينا لترى ما بعد الأفق.

الفلاحون: ونحن الكف. سنحفر قاع الأرض ونملأ هـــذه التربـــة بالأخضر.

ميناماس: لنعيد لتايلوس شوق طبيعتها الأولى. لا ذئب يأكل حملا، لا امرأة تشعر خوفا، لا طفل يشعر بالجوع، ولا شيخ يدفن من غير طقوس، لنجعل تايلوس ميناء للعالم.

الجميع: تايلوس ميناء العالم.

(ميناماس، يشير بيده، فيخرج الجميع، يبقى وحيدا ينظر للبعيد).

تدخل سماهيج بثياب النوم، ميناماس يتأمل داخله.

سماهيج: ماذا أسمع يا ميناماس؟

ميناماس: لا أسمع شيئاً.

سماهيج: كل أهالي تايلوس. العسكر، كهان المعبد، فلاحو المـــوج، رعاع الساحات، يقولون لقد جن الحاكم ميناماس.

ميناماس: ماذا؟

سماهيج: جن وضاعت هيبته، ضاعت حكمته حين رضي بمساواة السوقة بالنبلاء.

ميناماس: لا يتساوى أحد بالآخر إلا بعطاء يمنحه للأرض الخارج من خضرتها..

سماهيج: الكل يقول.

ميناماس: (مقاطعا) الكل. الكل. الكل. أجيبيني من هذا الكـــل؟ صديقاتالملتفات بشحم مؤخرة المـــاعز. أصـــحابك المنتفخـــون ككرش الخترير الميت في البر. عجائز تايلوس ما مثلن الكل، عجائز تايلوس، أصحابك، لسن سوى دود لا يصلح حتى للدوس.

سماهيج: من أين لعبد الأرض حقوق؟ حق الفلاح مشاركة التربـــة في لحمتها، إن أعطيناه الأكثر يفسد، يغتر ويطلب منا، ما لا يملكه.

ميناماس: ماذا؟

سماهيج: كونك حاكم تايلوس لا يعني أن تهـــدر حقـــي، حـــق عذارى، حق المزروعين هنا كعواميد القصر.

ميناماس: ومن قال بأني أهدر حقك حين أقرر أن أعطي كـــسرة خبز للجائع وثيابا للعريان والكوخ لمن لا بيت له. حقك مرفوع. لن ترفع مائدة أو ينقص ثوباً، فلماذا تحترقين بلا لهب أو نار؟

سماهيج: تراجع عنك الحق، نعم. آلهة الخصب رأتنا أفضل نـــسباً، أفضل عرقاً في الأرض، فأعطتنا الحكم وأعطتنا العقل. فلمـــاذا لا تسمعها.

ميناماس: هذه ليست آلهة، بل عقلية أسماك القرش، تهاجم، تنهش تبلع ما صادفها من أسماك. فأية آلهة هذه الحمقاء توزع خير الأرض بلا تبرير غير الأصل الميت والنسب المشكوك به.

سماهيج: اترك عنك السخرية الحمقاء. أنا لا أقبـــل أن أتـــشارك والفلاحين.

ميناماس: وما دخلك أنتِ؟

سماهيج: ما دخلي وأنا الملكة؟؟

ميناماس: حقا أنت الملكة، لكن العرف وكل تقاليد العالم، كـــل العادات تعلمنا أن الملكة ليست إلا زوج الملك الجالس فوق العرش، هي الظل وليس الشمس، هي الشاطئ لا عمق البحر، لـــذلك لا يتدخلن الملكات برعب الحكم لكي لا يتلوثن بأدلاق عـــواطفهن الوردية في ساحات لم يعتدن عليها.

سماهيج: لن أقبل أن يسألني فلاح عن مصروفي الشهري وعن ذهب وثياب ألبسها، لن أقبل أن يتمادى حتى يأتي يوم يسألني فيه عـــن كيفية نومي في الليل.

ميناماس: وما كيفية نوم في الليل، شخير مثل خراف اللعنة يملأ كل ممرات القصر.

سماهيج: لماذا تقتلني يا ميناماس بما ليس يليق بنطق الحاكم.

ميناماس: الحاكم إنسان، حين يحاصره الموت يقاومه.

سماهيج: لكني زوجتك الملكة.

ميناماس: الملكة. أمر مفروض لا يمكن أن أتخلص منه لكن الزوجة، لا فلقد اخترت الرغبة بالسطان واخترت الغربة حتى عـــن أصـــغر أشيائي.

سماهيج: كنت الصدر الدافئ. ميناؤك ساحلك الفضي، تجـــيء إلى من الأسفار وتنسي أحزانك بين بحيراتي.

ميناماس: كنت الدوامة في بحر الظلمات. مواقدك أبرد من جلـــد الجثة. صدرك تابوت. وشـــفاهك بئر نضبت منه الأمواه. أمـــشي في عمري، لا أشرعة لا مجداف لا خشب يحملني، وأحاديثك منـــذ الأيام الأولى، حبات تلتف على عنقي، تسحبني للقاع وتمتص دمي، تمتص هواء الرئتين، وتمتص صبابة ذاكرتي.

سماهيج: دعنا ننسى الماضي وننام.

ميناماس: كيف ينام العصفور الهادئ فوق سرير الأفعى. كيف ينام الأرنب في وكر الأرنب. دعيني. ما عدت أطيق مشاهدة الوجـــه الحامل كل أكاذيب الدنيا.

سماهيج: ما أقساك.

ميناماس: دعيني أرتاح قليلاً. من وجهك. من صوتك. من ظلك. من رائحة الزيف المتجسد في كل خلاياك الوسخة.

سماهيج (تنفخ صدرها باستياء وغضب): ليكن في علمك، إني لن أقبل يوما بمشاركة الفلاحين.

(إظلام)



المشهد الثالث

سينياباس، واديان، القائد، مجموعة من الجنود، مجموعة من العبيد المكبلين بالأغلال.

سينياباس: (إلى العبيد) الويل. الويل لمن ظن بأن عيوني فوق الأرض رمادٌ، وسيوفي صدأت في ظلمات الغمد. إذا أرخيت الحبل لكم فيما راح من الوقت فهذا لا يعني أن أرخيه إلى آخرة الدنيا. قولوا لي. هل في الأرض بلادٌ مثل بلاد المرجان. فلا أحد من جوع مات، ولا أحد مات من البرد. بنيت الأكواخ لكم فهدمتوها، وحفرت الآبار لكم فردمتوها أي غباء عشعش فيكم.

عبد١: مولاي

واديان: أصمت حتى يؤذن لك.

سينياباس: لم أسمع عن كلب أو ذئب يهدم بيتا يسكنه. لم أسمع عن جحش يرفس ماعوناً يأكل فيه. أما أنتم فتماديتم في الغي. هدمتم ما نبنيه. لماذا. (يشير إلى أحد العبيد). أخبرني أنت.

عبد ٢: مولاي. صحيح أن الواحد لا ينفق من جـــوع في بلـــد المرجان، ولكن..

القائد: (متدخلا) لكن ماذا؟

سينياباس: دعه يتكلم.

عبد ٢: نعمل منذ الغبشة أكثر مما تتحمله الحيوانات.

واديان: وماذا تبغي الراحة**!!**

عبد ٢: بعض الوقت وليس طوال الوقت. حصانك إن لم تتركـــه يرتاح قليلا لن يمشي بك أكثر من ميل حتى يسقط ميتا. وكلابك إن لم تغفو لن تقدر أن تأخذها للصيد وأغنامك أيضا..

القائد: هل تجرؤ أن تنطق هذا في حضرة مولانا.

(إلى سينياباس)

دعني يا مولاي أطير عنقه.

واديان: لا تستعجل.

سينياباس لــ(العبد ١): وأنت؟

عبد ١: مولاي العادل . مولاي.

رغيف الخبز الأصغر من حجم الراحة لا يشبع طفلا. كيف له أن يشبع من يعمل من صبح الديك إلى نوم الشمس؟ الأكـــواخ الموجودة ليست إلا أشكالا لا تحمي من حر الصيف ولا من بـــرد الثلج.

سينياباس: وأنت؟

عبد ٢: أنا مالي شأن بهما؟

سينياباس: وأنت؟

عبد ٤: خدعوني.

سينياباس: خدعوك!!

عبد ٤: نعم. خدعوني. قالوا إن أهالى تايلوس أكثر أمناً وسلاماً منا. قالوا أيضاً. صدقني. من حق العبد مصاهرة السيد.

واديان: أيضا هذا يا أوغاد.

سينياباس: إذن تايلوس!! تايلوس هذه ليست غير لسانٍ ممتد في البحر ربطناه بساحلنا لحتى لا تبلعه الأمواج. فإن قلصه الحر مددناه وإن طال قطعناه فلا تتخذوا من تايلوس أحكاما لتقيسون بها واحات المرجان.

(مفاجئا الآخرين)

من قائدكم؟!

عبد ٣: (يشير إلى عبد ١) هذا.

عبد ٤: (يشير إلى عبد ٢) هذا.

القائد: دعني أقتل هذين العبدين بكفي يا مولاي.

واديان: اهدأ . ودع الأمر لمولاي.

سينياباس (ساخرا): من منكم يحلم في عرشي؟

عبد١ : لا أحد يطمع في عرش أو مال أو جاه. فوحدك يا مولاي ندين له، لكن التخفيف من الحمل مراد يحلمه مـــن يملـــك قلبـــا وأحاسيس.

سينياباس: إذن أنت القائد.لا. لا.

(يشير إلى عبد ٢) أنت.

عبد ٢: لا يحتاج الجوعان دليلا ليعرفه يا مولاي على رائحة الخبز، ولا تحتاج النخلة شخصا يخبرها عن أمكنة الماء لهذا يا مولاي.....

سينياباس: كفى.. خذوهم للموت.

عبد ٣: مولاي. أنا. أولادي.

عبد ٤: ارحمني.

عبد ١: افهمنا.

عبد ٢: شكرا لسماعك ما نبغي.

واديان: للموت.

سينياباس: خذوهم.

عبد ١: يا مولاي.

واديان: كفى. للموت.

(يخرجون بهم)

سينياباس (وحده): القتل. القتل. القتل. لماذا يجبرني الأوغاد إلى سفك دم، أنا لا أحتاج له، ماذا يبغون من الحاكم غير الخبز؟ لماذا الحيوانات تريد مزاحمة الإنسان على موقد نارٍ كالماء وهم يخشون من النار. غموض في كل الأشياء. لماذا العبد يحدق فيما يحمله السيد؟ لا أدري. ملعون هذا العالم. ملعون. منذ خروج الكلبة من ضلع الكلب.

(إظلام)

المشهد الرابع

قاعة ـ صباحاً

عذارى. أبو زيدان.

عذارى: (تسحب أبو زيدان للداخل) ادخل.

أبو زيدان: لكن يا مولاتي..

عذارى: أوما قلت لك بأن تنسى هذه الكلمة.

أبو زيدان (وهو يدخل بخطوات خائفة. ينظر إلى الأسفل): أخشى أن يتوسخ سجاد القصر.

عذارى: هناك أناس للتنظيف.

أبو زيدان: (ينظر للأعلى) ما هذه القاعة؟! الخارج لا يوحي ما بالداخل. هي أكبر من سوق القرية!! بل إن جميع القرويين إذا سكنوها ستزيد مساحتها عنهم، يا مولاتي.

عذارى: ماذا قلنا؟

أبو زيدان: أعني. أولا تخشين من الوحدة في هذه القاعـــة. أعـــني القلعة. لو أدخلها وحدي لأضعت طريقي فيها.

عذارى: الوحدة ليست في القصر. هناك جوار وعبيـــد وجنـــود يلتفون عليك كما يلتف الخاتم في الأصبع. ما إن تتحرك حتى تبدأ كل عيون القصر وراءك. الوحدة في ألا تلقى أحد لتحدثه. الوحدة في ألا تعمل شيئا غير الأكل وتفريخ النوم، لذلك أصحو قبل أهالى القصر. لأخرج أستقبل صبح الأرض. أشم الورد وأوراق الحناء بلا جارية تتبعني أو حرس كالموت يرافق ظلي.

أبو زيدان: (مازال مبهوراً) تدرين!؟

عذارى: نعم.

أبو زيدان: قلبي ليس يطاوعني. بل يصفعني. كيـــف أدوس علـــى أرض لا تصلح إلا للنوم. فلو كان بقريتنا هذا السجاد لوزعناه علي الفلاحين أسرة حب لن تستخدم الا في الأعراس.

عذارى: دعنا من هذه البهرجة المطلية بالموت وحدثني عن قريتكم.

أبو زيدان: قريتنا!!

عذارى: حدثني عنها. حدثني كيف يعيش الفلاح، بنات الفلاحين، علاقات الناس وما يخطر في بالك.

أبو زيدان: قريتنا مثل جميع قرى تايلوس، أكواخٌ تنظر للأفق فـــلا يأتيها شيء غير صدى الأمواج المكسورة، مثل الصخرة تحت أنين الفأس رجال ينتظرون الخبز، كما الثكلى تنتظر الغائب.

عذارى: والنسوة!!

أبوزيدان: في الخامس والعشرين يحـــولهن الوقـــت إلى جـــدات. أصابعهن بلا لون وطلاوتهن بلا معنى لا وجه، لا طعم لا رائحـــة. قولي قصب غادرة السكر أو قشرة بطيخ نظفها الجائع.

عذارى: والشبان؟!

أبو زيدان: مجالسنا الساحل، ننظر نحو الأفق ونحلم في اليقظة لـــو سلطان البحر أتانا. لو كلمنا، لو أعطانا شيئا مما يزرعه في الأعماق من اللؤلؤ والمرجان. رجال القرية ينتظرون الصيف فقد يمـــنحهم بعض عطاياه المعروفة بسرا أو رطبا في آخرة الموسم.

عذارى: ما أجملها!!

أبو زيدان: من؟!

عذراي: قريتكم.

أبو زيدان: قريتنا!! أي جمال تعنين!

عذارى: بساطتها، عقوبتها، وطبيعتها الخضراء، حيـــاة رائعـــة لا حرس فيها أو أسوار، حياة أحسدها.

أبو زيدان: من يحيا في هذه الأمكنة المفروشة بالريش وذيل الخيـــل وصوف الخروف، من يحيا في هذا العطر المتناثر في كـــل مكـــان، كيف له أن يحسد قريتنا؟ من يأكل من أصناف الأكل المعـــروف وغير المعروف لنا، لا يمكن أن يفهم او يشعر، أو يتـــصور كيـــف يعيش الكادح في قريتنا.

عذارى: ما قصدك؟

أبو زيدان: لا أقصد شيئا.

عذارى: قل. فأنا أبغي أن أعرف.

أبو زيدان: بعض الأحيان تكون الكلمة أعجز من أن تعطي المعنى. قد توصف اسما ما، لكن أبداً لن تقدر أن تعطي ما في داخله مـــن معنى.

عذارى: أيضا لم أفهم قصدك.

أبو زيدان: أعني أني قد أتكلم عن عفوية قريتنـــا، عـــن أكـــواخ الفلاحين عن الزرع الميت جوعا، عن نخل يبحث في الملح كمـــا يبحث ظمآن عن قطر ما. لكني أعجز أن أتكلم عن عين امـــرأة، وهي ترى ابنتها عظما يترمد بين يديها. أعجز أن أتكلم عن فلاح يضرب بالسوط بلا سبب غير كهولته، أعجز أن أتكلم عن طفـــل يولد في الوحل وفي الوحل يموت.

عذارى: لم أسمع عن هذا من قبل.

أبو زيدان: ومن أين لمن يسكن في القصر سماع فحيح الموت الجاثم كالربوة فوق عظام الفلاحين.

عذارى: أتعيرني!!

أبو زيدان: لا. يا مولاتي. ثقتي غير المحدودة في طيبتك التايلوسـية تجبرني للنطق بما لم أنطقه من قبل، وإن أخطأت فاعذرني أني فلاح لم يتعلم كيف يكلم أسياده.

عذارى: لم تخطئ، لكنك ترعبني.

أبو زيدان: لم أقصد إزعاجك. يا مولاتي، لكني حاولت إزالة غيم جمعة الوقت أمام عيونك.

عذارى: هذا يجعلني أكثر شوقا لمشاهدة القرية.

أبو زيدان: لا تصلح لك.

عذارى: سأشاهدها.

أبو زيدان: هل تنوين مشاهدة اللعنة. إنني أرفض هذا.

(ينظر للأعلى تزداد بقعة الضوء)

الشمس رمت فستان النوم

عليّ الآن العودة للبستان.

(في هذه اللحظة تدخل سماهيج)

سماهيج (وهي ترى أبا زيدان): قروي في القاعة!!

عذارى (فرحة تأخذ أبا زيدان إلى أمها): أمي. هذا الفلاح أبـــو زيدان.

(أبو زيدان يمد يديه إلى الأم. سماهيج تنظر إليـــه بـــازدراء وتترك يده معلقة. أبو زيدان يقف لحظات صامتاً ثم يخرج مسرعاً).

عذارى: ما هذا يا أمي؟

سماهيج: من أين أتيت بهذه الرقعة للقصر. إذا كنت تريدين اللعب به فلديك الساحة والبركة والبستان. أليس لديك الأنف تشمين به رائحة الموتى. رائحة ملئت هذه القاعة بالعفن. ولا أتصورها ترحل عنا قبل ثلاثة أيام.

عذارى: لا أقبل هذا.

سماهيج: إن كنت تريدين مساعدة الشحاذ وإطعامه فهناك المطبخ.

عذارى: ليس بشحاذ، بل فلاح يحمل اسم القرويين. أبو زيـــدان صديقي.

سماهيج: ماذا؟ هل وصلتك الجرأة في أن تتخذي فلاحا كصديق.

عذارى: فلاحٌ أو عبد. يكفي أني أرتاح إليه.

سماهيج: سوف أقيم مساء غدٍ حفلاً خاصاً أدعو فيه جميع بنـــات وأبناء القادة والأعيان. فاتخذي من شئت من الأصحاب ولكن ليس القروي.

عذارى: أمي.

سماهيج: يكفي هذه الأضغاث الميتة.

(تتركها).

عذارى: ما هذا العالم؟! أي فراغ يحكمه!! بل أي جحيم هذا؟ حتى الأصحاب هنا يحتاجون إلى أمر خاص وقرارٍ من لدن الأم.. ومن لبن العادات المسكوبة مثل النقرس بين عظام أهالي القصر!!.



المشهد الخامس

القرية. صباحاً. مجموعة من الفلاحين، أبو زيدان.

فلاح ١: هل يمكن هذا، لا أتصوره، لست أصدق أن جميع مشاكلنا سوف تحل سريعا.

فلاح ٢: بل صدّق. ما كنا نحلمه سوف نراه.

فلا ح ١: سوف أعيد بناء الكوخ.

فلاح ٢: وأنا سأتزوج.

المرأة: (تمر وتسمعه) هل تتزوجني؟!

فلاح ٢: حتى لو لم تبق بقريتنا امرأة أو أنثى لن أتزوجك يا فحماء.

المرأة: لماذا يا معتوه.

فلاح ٢: ثلاثون على حضنك ماتوا، وأنا لا أحلم أن أصبح آخرهم.

فلاح ١: يخشى من شهواتك.

المرأة: ما أضعف شبان اليوم. سأبحث عن رجلٍ لا يتعب من حبي غير المحدود.

أبو زيدان: ستلقين رجالاً أكثر مما تتصوره أي مخيلة في تـــايلوس، فالموت بأحضان المرأة أفضل من موت في الوحل.

فلاح ٢: ستصبح تايلوس أغنى أرض في الدنيا.

المرأة: هل صدقتم ذلك.

أبو زيدان: مولانا ميناماس الغالي لا يكذب أبدا.

فلاح ١: بارباروس. أباه فلاح ابن الفلاح يعي حاجات الفلاحين وما يحتاجون إليه، ولسوف يساعدنا.

المرأة: إن ساعدكم هذا. (وهي تشير إلى خصلة شعرها).

أبو زيدان: في السوق؟!

المرأة: وأمام الناس. لأني أعرف هذه اللعبة. أعرف أن البذر الصالح لا يبقى في الدنيا. فالأعشاب الضارة سوف تحاصره بالموت.

فلاح ٢: لماذا تقتلعين الفرحة من تربتها.

المرأة: أنتم أحرار.

(تخرج)

فلاح ١: هل نتشارك؟

فلاح ٢: في ماذا؟

فلاح ١: في الأحلام، لنمشي ونرى ما سوف يكون إلى النـــاس علي حضن الأرض.

فلاح ٢: لنمشِ.

(قبل خروجهما يفاجئهما جنود مقشاع بالسياط)

القائد: هيا يا أنذال.

فلاح ١: إلى أين؟

فلاح ٢: ولكن..

القائد: هيا..

(إلى جنوده)

قودوهم للأرض. أريد جميع الفلاحين الموجودين هنا.

أبو زيدان: يا سيدنا.

القائد: اخرس يا كلب.

أبو زيدان: دعني أتكلم.

القائد: لا وقت لدي.

أبو زيدان: الحاكم......

القائد: لا شأن لنا به... ابتعد عن دربي..

أبو زيدان: نحن .....

القائد: (يضربه بالسوط على ظهره)

ابتعد يا فلاح

(إلى جنوده)

خذوه معهم للأرض

(يخرجون).

المشهد السادس

القصر. ميناماس. بارباروس. مقشاع.

ميناماس (غاضبا): كيف له أن يتدخل في مسألة تعنيني وحدي؟ إن ساعدني في وقت الأزمة لا يعني أن يستعبدني في وقت السلم. لقد جاملت كثيرا حتى أحسست بأن لساني فقد الذوق. وما عاد يفرق بين السكر والملح.

مقشاع: زره، ناقشه في الأمر فقد تقنعه.

ميناماس: إن لم يقتنع الآن، ستقنعه الأيام بصحة رأي التايلوسيين.

بارباروس: مشاكلنا تتفاقم حين نجمدها، لو أنا فكرنا في إيجاد الحل لها في طور تكونها لم تتراكم حتى تتفجر فينا وتهددنا في الخارج والداخل.

مقشاع: أنت السبب الأول في هذا التهديد، أخذت توسوس في أذنيه إلى أن لان ومال إلى رأيك.

ميناماس: احسب كلماتك يا مقشاع، فلست الساذج في أن أقبل مالم يقبله عقلي. إن أسست لشورى الأعيان ومندوبي الفلاحـين لمناقشة حالة تايلوس، يعني هذا أني أقدر أن أعرف كل نواقـصنا وأحاول أن أجد الحل لها قبل تفاقمها.

مقشاع: لكن غيرك لا ينظر إلا من منطلق المصلحة الخاصة.

بارباروس: تعنيني؟

مقشاع: طبعا أعنيك. لأن الأصل الفلاحي يجرك للتأكيـد علـى الدفع بأكبر ما يمكن أن تملكه من آراء للتأثير علينا.

بارباروس: لا أنكر أصلي الفلاحي فأنا ابن الطين وليف النخـل وظل اللوز، ولكني أيضا لا يمكن أن أنكر أن دمي لم يتكّون إلا من هذا القصر. وهذا الحكم. فلولا تعليمي ما كنت وصلت إلى هـذا المركز، لكن يا مقشاع لتعلم أني ما فكرت بأن أبني مصلحتي فوق مصالح حاكمنا. مولاي هو المقترح الأول، واضـع لبنتـه الأولى لمشاركة الفلاحين مع الأعيان، ولا أحد ينكر دور مشاركة الرأي الآخر في تخفيف وإيجاد الحل لكل مشاكلنا، غير الأعمى.

ميناماس: مازلت صغيرا يامقشاع لتعرف أن الحاكم ليس سـوى فرد من مجموع، اختارته آلهة الأرض ليعمر دارا ويؤسس شـعباً لا يحتاج إلى غيره.

مقشاع: من قال لكم أن الفلاحين من الشعب؟! هم ليسوا غير رعاعٍ وسخين ينامون مع الأبقار. لصوصٌ وعبيدٌ لا تصلح جلدتهم إلا للضرب اليومي. فكيف لنا نحن النبلاء مجالسة الفلاحين محاورة الطبقات المنذورة منذ الجد الأول حتى الآن لخدمتنا. هل يتساوى السيد والخادم؟ هل يتساوى العبد مع الحاكم؟.

ميناماس: فليبق رأيك لك؛ وأرى أن تذهب صبح غدٍ لبلاد المرجان وتهدي حاكمها الشكر على ما أعطاه لنا من دعمٍ، كنا محتاجين إليه بذاك الوقت وتخبره أني أدري بمصالح شعبي.

بارباروس: عفوا يا مولاي. أخشى أن يشعر سينياباس بأنا نتحداه ولا ندري أي طريق يأخذنا رد الفعل، خصوصاً أن هناك حروفا ونقاطا توصلنا لشواطئ هذا التعليل. علينا تخفيف اللهجة حين نكاتبه، لكن في نفس الوقت لا بد لنا من تشكيل خطوط دفاع تحمينا من هجمة أي عدو.

مقشاع (سخرية): هذا رأي فلاحي آخر.

ميناماس: تعرف أني أكره اسم الحرب.

بارباروس: وأنا أيضا أكرهها. لكن لا يمكنك الصمت وأنت ترى الآخر كالمسعور يحاول أن يتداخل بين دمائك والقلب. إذا كنا في الماضي حوّلنا تايلوس الخضراء إلى أرض للسلم، علينا أن نحمي هذا السلم ولو بالحرب.

ميناماس: دم، سوف يجف النخل وتنعق غربان العالم.

مقشاع: والأموال ستهدر في إطعام عبيد، فلاحين، وتهدر في أسلحة لن نستعملها، فلماذا تنطق ما لا يحمل معنى؟

ميناماس: فتش عن حل آخر.

بارباروس: لا يوجد يامولاي.

ميناماس: أيعني هذا أن نسحب نهر الدم إلى تايلوس.

بارباروس: القط أليفٌ عند اللعب، أليف عند الأكل، ولكن جرب أن تأخذ منه طفلته، ستراه وحشاً تتمنى أن تبلعك الأرض ولا يلمس عضواً من اعضائك يا مولاي. علينا أن نحمي تربتنا بقوانا أوستكون اللؤلؤة الخضراء خراباً وحجارة.

ميناماس: سأفكر في هذا الأمر.

(إلى مقشاع)

سأعطيك كتابا هذه الليلة. جهز نفسك للرحلة من صبح الغد إلى بلد المرجان.

(إظلام)

المشهد السابع

القصر ـ صباحاً

عذارى تنظر في النافذة

سترة (وهي تدخل): ماذا يامولاتي.

عذارى (فرحة): سترة. أمي الحلوة.

سترة: في وجهك فرحٌ يغمر كل الدنيا، أو لا تعطيني شيئا منه.

عذارى: سأرى القرية، لكن أبا زيدان تأخر عن موعده.

سترة: ماذا؟

عذارى: سأراها، القرية.

سترة: مالك والقرية يامولاتي. إن القرية لم تخلــق إلا للفلاحــين الحمقى لا لأميرة تايلوس. لا طير يحيا إلا في عش يصنعه، لا سمكٌ إلا في بقعة بحر يعرفها؛ القرية ليست لك. وإذا كنت تريدين قضاء

الوقت، على القرية أن تأتيك بما فيها مـــن ألعـــاب القـــرويين إلى قصرك.

عذارى: منذ متى تأتي القرية للقصر؟ عليّ إذا كنت أريد...

سترة: دعي هذا الأمر وهيا يا مولاتي. ففطورك جاهز.

المشهد الثامن

قصر. سينياباس. مقشاع، واديان.

سينياباس: وماذا بعد؟

مقشاع: ميناماس قال بأنكم مرضى التوسع في زمـــان الأمـــن، لم يخف عداوته لكم أو حقده الشخصي. لو ملك القوى يوماً، وهذا ما يحاوله، لحاصركم حصار القبر للتابوت. أعرفه أخي، ولذا عليك الآن يا مولاي أن تعطيه درسا جيدا في رؤية الأشياء، حتى لا يفكر مرة أخرى بأن سكوتكم يعني له ضعفا. وهذا الأمر..

سينياباس: إن جنود ميناماس حتى لو يضاعفها على طول القرى لا تستطيع الاقتراب من الحدود ولا مناوشتي.

مقشاع: أيضا قال إنك جاحد، فظ، دنيء النفس، إن أباه ساعدكم وأنتم في بداية عهدكم. أنتم..

سينياباس: هراء قوله هذا وسوقيٌ.

مقشاع: وأكثر. إن ميناماس يا مولاي يشعر أن تايلوس الجزيرة لن تكون عظيمة إلا إذا تركت وصايتكم. وأنتم دودة. بل حية تمتص بهجتنا، تحاصر خطوة العصفور. تسرق رضعة الأطفال في تايلوس، لذا ياسيدي لابد أن تقضي علي مشروعه القروي قبل بنائه.

واديان: مهلاً.

(إلى سينياباس)

عرفنا أن ميناماس يا مولاي أكثر حكمة من بومة الأطلال. لو رفض الجميع سماع كلمتنا سيبقى وحده يصغي لنا. يـــدري أن حدوده مفتوحة للبحر والإعصار. يعرف أن قوته أقل من التصدي للذي يغزوه. ميناماس معتمد علينا في جزيرته سواء كان بالأموال أو بالجند.

مقشاع: غيره، وزير السوء غيره. وصوركم له بالموت يمـــشي في هواء الكون منتشراً من المرجان حتى رأس بر البحر في تايلوس ولو نحن تركنا الأمر للفلاح. سوف يواصل التأثير، حيث يميل ميـــزان النظام لصالح البلهاء.

سينياباس: قل بالضبط ماذا تبتغي منا؟

مقشاع: أنا لا شيء.. يكفيني أكون صديقكم.

سينياباس: وأخاك.

مقشاع: ليس أخي الذي يعطي البلاد لمن يسيره.

سينياباس: لنترك لعبة الكلمات، فالكلمات يمكن أن تبيع وتشتري برنينها الفتان، آلاف العبيد، ومعظم الأجراء، عمال المناجم، أغلب البحارة الجوعى، ولكن أنت؟

مقشاع: تحموني. فقد أفشيت أسراراً ومعلومات عن أهلي وعن بلدي.

واديان: لماذا لا تقول لنا بلا لفٍ ولا دوران أنك طامع في العرش.

مقشاع: ميناماس أضعف من يسوس الناس. حوّل أغلب النبلاء في تايلوس إلى ما يشبه الأغنام. لا رأي لهم لا سمعة، لا سطوة، لا شيء غير الصمت، جالست الجميع، عرفت أن النهر لا يمشي إذا وضعت صخورٌ قبل خطوته. فخفت على بلادي من بلاء لست أعرف أين يأخذنا. عبيد الأرض ينتشرون كالطاعون إني خائفٌ منهم. جراد سوف يأكل ما يصادفه. أخاف على البلاد، على النبلاء من أهلي. أخاف على أحبائي من الأمراض. يا مولاي إن العبد لو تركوه دون الضرب سوف يزيد في إهمال ما نعطيه من أعمال. لو سمع العببد هنا، وقد سمعوا لما يجري هناك، هناك في تايلوس، لقاموا مثل بركان سيهدم كل ما نبنيه من فرح إلى الإنسان. إن النار حين تشب يا مولاي تحرق أقرب الأركان. يا

مولاي أنتم أقرب البلدان سوف يثور كـــل عبيـــدكم في أقـــرب الأوقات إن هنتم وما واصلتم الضرب القوي هنا على رأسٍ يحاول أن يغيّر لهجة العادات، يحرق قوة الناموس. ماذا قلت؟

سينياباس: إن الأمر محتاجٌ إلى التفكير.

المشهد التاسع

القرية. عذارى على عربة يحملها عبيد، أبوزيدان معهـــا.

يتوقف العبيد تترل عذارى، فلاحون وفلاحات. هنـــا وهنـــاك في السوق. أوساخ قاذورات.. إلخ.

عذارى: (باندهاش) ما هذه؟

أبو زيدان: هذه قريتنا.

عذارى: كيف تنامون بهذه الأوساخ؟ بيوت لا تصلح للحشرات، أكاد أرى النمل الأبيض يسبح فيها، أسمع صوت الفئـــران وهـــي تنطُ. أهذه الأكواخ القرية؟ أعمدة من أعجاز النخـــل، كهـــوفٌ أكثر ضيقا من تابوت طفلي.

أبو زيدان: هي قريتنا.

عذارى: قل مقبرة.

أبو زيدان: أو ما كنت تريدين مشاهدة القرية. عفويتها وبساطتها.

المرأة: إمراة من عائلة الحاكم تغزو قريتنا.

العجوز: امرأة.

المرأة: هل أنت عذارى؟

العجوز: ابنة حاكمنا؟

(الجميع يتأمل عذارى وهي تمشي في السوق. تمر مجموعة من الرجال يحملون جرة صغيرة. موسيقى جنائزية).

عذارى: (إلى أبي زيدان) ماذا هذا؟

أبو زيدان: طفل مات ووالده الآن يفتش عن ما يملأ هذه الجرة كي يأخذ الميت للقبر.

عذارى: لماذا؟

أبو زيدان: الإنسان إذا مات سيصحو في يوم من أيام الأرض.

عذارى: متى؟

أبو زيدان: لا أدري.. لكن عند الاستيقاظ عليه أن يتدبر أمر معيشته في المأكل والمشرب والملبس. ولأن الوالد أفقر من أن يملأ هذه الجرة، طاف الآن على الفلاحين ليجمع شيئا قبل طقوس الدفن.

(الرجال والنساء يتقدمون من جنازة الطفل وكل منهم يضع شيئا مما يملكه، عذارى تخلع خاتما وتضعه في الجرة).

أبو زيدان: لا يحتاج هذا.

عذارى: بل يحتاج.

المرأة: (تتقدم من عذارى) قولي لأبيك الحاكم أن يرفع عنا هـــذا الظلم.

عذارى: أبي!! ظالم!!

المرأة: الساكت عن رد الظلم عن القرية ظالم.

عذارى: لا أفهم.

الهرم: سأقول إليك الآن بما لم أنطقه من قبل.

العجوز: لم يعرف قريتنا حاكم، فلماذا جئت إلينا الآن؟

أبو زيدان: عذارى جاءت تكتشف القرية أو تكشف.

العجوز: عورتنا!! هل تحتاج العورة يا بنت العرش إلى عري أكثر؟ هل جئت هنا تكتشفين عواء الجوعى؟

أبو زيدان: (محاولاً تهدئتها) يا أم القرية !

المرأة: والدها لم يعط أحدًا أجراً.

الهرم: ليس لها شأن

العجوز: هل نتركها لتشاهد ما ترغب فيه؟

الهرم (محاولاً أن يسحب الحديث من العجوز): يا ابنتنا.

العجوز: ليست ابنتنا.

أبو زيدان (إلى العجوز): هل تصغين قليلاً.

العجوز: ماذا؟ (وهي تأكل)

أبو زيدان: لا شيء.

الهرم: هذه القرية أرض أخصب من كل أراضي تايلوس. لا بـــذر يبذر فيها إلا وتسامق. فالنخلة تطلع قبل مواسمها والتين، الليمـــون العنب، اللوز، بها يحمل أكثر من حمل في العام. هي الجنة.

عذارى: من يملك هذه الأرض وما تزرعه لا يمكن أن يشعر يومـــاً بالجوع.

الهرم: ولكنا لا نملكها.. نحن أجراء فيها، نحفـــر، نبـــذر، نـــروي نحصد.

عذارى: لا يأتي شيء دون جهود يا أبتاه.

الهرم: كلامك حق. لكنا لا نجني غير الحصرم.

عذارى: كيف؟ إلى أين يروح الجهد؟

المرأة : إلى قلعة مقشاع.

عذارى: عمي.

أبو زيدان: إن عذارى لا شأن لها.

الهرم: نعرف ذلك يا ولدي. نعرف أيضا أن عدالة ميناماس هـــي الأكثر عدلاً من كل ملوك حكموا تايلوس، لكن فلتعرف أن الناس تموت كما الحيوانات.

عذارى: لماذا لا يطرح هذا الأمر على الحاكم؟

أبو زيدان: أو نائبه بارباروس.

العجوز: بارباروس نسي القرية منذ طفولته.

عذارى: ومشاركة الفلاحين لشوي الأعيان.

الهرم: كلام ينطقه الشبعان إذا داهمه الجائع في الطرقات.

عذارى: أبي!!

الهرم: حاولنا عدة مرات وفشلنا في إيصال مطالبنا لأبيك.

أبو زيدان: ليس أباها. لكن مقشاع.

الهرم: نعم مقشاع. فلا أحد وصل القصر ليطرح شكوانا ومطالبنا إلا والموت أتاه ولا يعرف عن جثته حتى دود الأرض.

المرأة: لذلك خاف الناس، وما عاد لنا غير الخوف نكلمه ويكلمنا. الخوف يدثرنا، الخوف ينام هنا، معنا، يأكلنا، يشربنا.

عذارى: وهل غاب الخوف الآن؟

الهرم: رأينا في وجهك طيبة تايلوس وبراءة تايلوس وطبيعة تايلوس، فتجرأنا، قلنا آلهة الخير رضت عنا، جاءت عبرك يا ابنة حاكمنا الطالع من هذا الطين، سمعت شكاوينا فخذيها للرجل الطيب.

عذارى:سأوصلها.

العجوز: لكن قبل التوصيل عليك ملاحظة هذا الأمر.

عذارى: ماذا؟

العجوز: لحمك هذا الممتلي الممشوق الفارع لم يتكــون إلا مــن جوع الأطفال.

المرأة: فستانك هذا منسوج من جلد الفقراء المنكسرين على قرص الخبز.

أبو زيدان: يكفي.

العجوز: حمرة خديك دماء الفلاحين.

المرأة: شرائط شعرك ليست غير شرايين عبيد الساحل والداخل.

عذارى: لا.لا

الجميع (في جوقة): أكلك، شربك، لعبك، لهوك، نومــك، كــل الأشياء الموجودة عندك ليست إلا من موت الأطفال ليست إلا من جوع الأطفال ليست إلا من قتل الأطفال.

عذارى: (تصرخ) لا. لا.

(إظلام)

المشهد العاشر

القصر، عذارى، ميناماس، سماهيج

عذارى: هل هذه تايلوس؟ هل هذه امرأة البحر؟ لماذا لا نحرق بؤس الناس ولا نترك طفلاً ينفق من جوع؟

ميناماس: ليس الأمر بسيطا، لا يمكن للتاجر أن يتنازل حتى عن رقعة ثوب للعبد، ولكنا سوف نحاول تقليل الهم، فلا تزدادي حنقا ضد أبيك.

سماهيج: من أعطاك الإذن لتختالي في سوق القرية؟

عذارى: هل تخشين عليّ من الفلاحين؟

سماهيج: أخاف عليك من الشمس فكيف من القرويين. إن القرويين لصوص. أفاقين، عبيد.

عذارى: إإن القرويين بشرْ.

سماهيج: بل قمل وقراد.

ميناماس: بشر يا امرأتي، بشر لولاهم ما كنا ننعم بالملك ولا هذه الأبهة الشمطاء، فهم أعطونا الجهد، علينا أن نعطيهم بعضاً من قيمة ما بذلوه لنا.

سماهيج: إنك تجعل تايلوس مقبرة، أول من يدخلها نحن.

عذارى: الناس تموت، مشاركة الفلاحين كلام، عمي مقشاع يبيع ويشري في أرواح الناس.

سماهيج: هذا قانون الأرض وقانون التايلوسيين من العصر الأول.

عذارى: لا يا أمي، لا يمكن أن نقبل قانونا لا يحترم الإنسان أبـــو زيدان يقول..

سماهيج: لقد خربك الفلاح وسمم أفكارك بالقصص الخرقاء..

ميناماس: من هذا البوزيدان؟!

سماهيج: فلاحٌ وسخٌ لا أدري من أي مكان وجدته؟

عذارى: شابٌ يروي بستان القصر ويعرف أسرار الأزهار.

ميناماس: جميلٌ أن يتقن فلاح سر الأزهار.

سماهيج: أي جميل تتكلم عنه، عذارى أصغي لا أقبل أن تتمـــشى ثانية في سوق القرية.

(تخرج)

ميناماس:أي مكان تهوين ستمشين إليه، فلا تهتمي الآن بما قالتـــه أمك عن فلاحي تايلوس، لا يسرق إلا المحتـــاج ولا يـــشحت إلا العاجز عن إيجاد بديلٍ عن هذه المهنة، لا تحتقري ضـــعفا، تحـــت الضعف حياةٌ لا يتصورها العقل، وحتى في صمت الأحجار حياة.

لو نطقت سترين التاريخ يفيض. عـــذارى، إني أحلـــم في تايلوس أخرى، تايلوس لا ينعب فيها البوم ولا يمرض فيها إنسان. تايلوس اللؤلؤة الخضراء، تضيء البحر وما حول البحر. عـــذارى. كوني المد لأحلامي.

عذارى: سأكون كما تهوى يا أعظم كهل في الدنيا.

ميناماس: أكبرت بهذه الصورة**!!**

عذارى: الشيب تجاوز شعر الذقن ولا تنسى أني أصبحت أجـــاوز طولك. أنظر..

ميناماس: أنسى عمري حين أكون معك.

عذارى: وأنا أيضا..

(إظلام)



المشهد الحادي عشر

الحديقة ـ مساءً

مقشاع وسماهيج يسيران

سماهيج: الفلاحون هم الموت السائر فوق الأرض على قدمين.

مقشاع: سأقلعهم فردا، فردا، فهم قلقي اليومي، مشاركة الفلاحين بإبداء الرأي سيتبعه أن نتنازل عن حق أبي في ملكية هذه الأرض. بمعنى آخر أن يتدخل أو يسأل هذا الفلاح لماذا سيده يأكل أكلا أفضل منه، يلبس ثوبا أجمل منه، يسكن في قصر. ما أتعس يوماً يلقاني فيه العبد ويسألني: من أين أتيت بهذا. ستعم الفوضى ويعض الكلب أُسُود الغاب وليس أمام الواحد منا إلا أن يدفن في التربة رأسه. هل نسكت عن هذا؟!

سماهيج: دعنا منهم، جدران الواقع راسخةٌ لا أحد، مهما كان يزعزها.

مقشاع: لو أتخلص من بارباروس.

سماهيج: (بنظرات ذات معنى).

فقط بارباروس

(في هذه اللحظة يدخل أبو زيدان وعذارى، يريان سماهيج ومقشاع فيختفيان)

عذارى: أمي.

أبوزيدان: (يسكتها) صمتا.

سماهيج: تعبت روحي من هذه الوحدة، أشعر أن اللحظة فارغة والكون بلا معنى، فمتى يا مقشاع تخلصني من هذه الوحدة؟ هل نبقى نقتنص الفرحة مثل عبيد الميناء نخاف عيون الحراس، نخاف الناس ونسرق فرحتنا بالخوف.

مقشاع: معي كوني يا أجمل أمراة في الكون ولن تخشي سوى بعدك عني. أنت أنا وأنا أنتِ.

سماهيج: أخاف من الأيام؟

مقشاع: علينا أن نقتنص الفرحة، إن الصقر الجارح لا يسأل عائلة الأرنب عن رغبته في أن يأكل أسمن من فيها، بضعة أيام ونكون معاً.. ولأني صقرٌ اقتربي مني.

سماهيج: الصقر الجارح لا يُسأل.

مقشاع (وهو يقترب منها): بل يهجم.

سماهيج: ليس الآن.

(تركض داخلةٌ القصر، يتبعها مقشاع)

(عذارى وأبو وزيدان ينظر كل واحد منهما إلى الآخر منشدها)

(لحظة صمت)

عذارى (منفجرة): هل يعقل هذا؟

أبو زيدان: قد..

عذارى: أمي، عمي مقشاع، أكاد أحس الطقس دماً يتقطر في عيني. يخنقني ويحولني قطعة لحم في حلق الذئبة.

أبو زيدان: إياك واستعجال الحكم.

عذارى: أيمكن أن يصل الاستهتار إلى حد الإثم! أيمكن أن يتصور عقلٌ أن الأفعى تأكل في البيت معي. في البيت.

أبو زيدان: عذارى.

عذارى: أمي! كيف أحس أمومتها؟ وهي.. كيف أراها الآن ولا أقزز حتى من نظرها. أشعر أن الأرض تميل، تدور، وأغصان الأشجار طيورٌ حارجةٌ والقصر خراب والضحكة، ضحكتها الرعناء عواء وأنا.

أبو زيدان: حقد النبلاء على الفلاحين يجمع ما لا يمكن أن يجمعه شيء آخر.

عذارى: الإثم أبا زيدان، هو الإثم، أراه أمامي طاعونا سوف يدمر هذه الأرض. يخربها يرسلها للقاع. هو الإثم يدمرني. يقتلني. يقتلني.

أبو زيدان: إن كان الآلهة أكبر من أن يفنوا يعيشون الخبث، يكبد الواحد منهم للآخر، يقتتلون كما تقتتل كل القطط الوحشية فوق الساحات، فماذا تنتظرين من البشر الفانين؟

عذارى: هواء الكون دماءٌ تترف في جوفي. أبعدني، أبعدني عــــن أمي، أبعدني عن هذا القصر الجالس فوق خرابٍ. أبعـــدني عـــن نفسي، أبعدني كي أتنفس، قلبي مختنقٌ. وظلامٌ يملأ عيني. أبعـــدني. أبعدني. أبعدني.

(إظلام)

المشهد الثاني عشر

القصر. سينياباس. واديان.

واديان: لاشيء يا مولاي سوى جلسات كلام تتبعها طاولة الأكل. كأن الحاكم ميناماس يحاول أن يشبع مندوبي الفلاحين بأنواع ما أكلوها من قبل. ويشغل مندوبي الأعيان بتسطير حروف تقنع جوعى تايلوس بضرورة شد البطن. لكي تعبر أزمتهم.

سينياباس: لم تذكر لي عن هذه الأزمة.

واديان: لا توجد أية أزمة في تايلوس، لكن الأعيان لكي تزداد تجارهم، يحتكرون ضرورات العيش اليومية. حتى لا يلقوا معارضة فالأعيان...

سينياباس (يقاطعه): وتشكيل الجند.

واديان: إلى هذه اللحظة لم يتشكل غير الوهم وأخشى يا مولاي بأن هناك مبالغة في هذا الجانب. لم أتلقَ أي بصيص يوحي حتى بوجود التفكير بمسألة التشكيل المزعوم.

سينياباس: ومقشاع!!

واديان: يراسلنا بين الفترة والأخرى. يسخر من آراء الفلاحين ويشتم ميناماس ويلعن بين الجملة والأخرى باربارو س، ولا ينسى تخويف بلاد المرجان من الفلاحين.

سينياباس: هو الاستعجال لبلع العرش. هو الاستعجال.

(صمت)

واديان: أراك كئيبا. هل ضيقا تشعر يا مولاي.

(صمت)

سينياباس: (كأنه يحدث نفسه)

تعبت روحي من هذا التطواف اليومي وراء السفن السيارة في الصحراء. كأني ذئب أتبع رائحة الأغنام. كأن الأيام كلاب تنهشني. ما أتعسني في صحراء الأيام؟! أريد حياة أكثر استقرارا، أكثر أفراحاً، عمري زاد على الخمسين ولا أملك شيئا.

واديان: مازال شبابك يقطر...

سينياباس: (لا يسمعه)

لا أملك غير السيف الصارخ من هول الدم. وهذا المال المتراكم تحت الأحجار الرملية. أحجار تحت الأحجار. فأين المعنى لحياتي، لا زوج تملأني فرحاً، لا ولدٌ يحمل اسمي. إني تعس مثل

الصخرة عارية للريح وثلج الوقت وغمغمة الليل، أعيش ولا أملك غير فراغ الآتي.

واديان: النسوة أكثر من أن يحصين بهذا البلد الأخصب من أنهار الدنيا؛ حرك إبهامك يا مولاي لأي فتاة وتراها نائمة كالقطة فوق سريرك.

سينياباس : لا أبحث عن امرأة تتبعني، بل عن امرأة أتبعها؛ فالصيد السهل، بلا تعبٍ ومغامرةٍ أو إدهاش يصيب دمى مللا. الصيد إذا لم يجعل شرياني يغلي كالبركان. يحول أنفاسي عاصفةً، وزفيري ريحاً، لا يرضيني. أبحث عن إمرأة تخرجني من يومي المألوف جنيناً يصرخ وهو يمص الدنيا. أبحث عن امرأة تكسر فيّ العادي المتكرر. امرأة ليست كالنسوة امرأة لم تتروض. لا تركع لي جارية آمرها. بل تؤمرني.

واديان: لا توجد امراة في الدنيا لا تركع للحاكم، إن لم تخضعها الشهوة يخضعها المال، وإن لم يخضعها المال سيخضعها الخوف، فلا تتعب نفسك يا مولاي.

سينياباس: لذلك لن أتزوج غير المجهول.



المشهد الثالث عشر

أمام البحر

الوقت صباحاً

البحارة كل في مجال عمله. البعض يحمل الأشرعة، البعض الآخر يجر الحبال.

بارباروس: هل أعددتم مجلس مولانا ميناماس؟

الربان: كالعادة يا سيدنا.

بارباروس: والغرفة؟

الربان: جاهزة بحوائجها.

بارباروس: والأشرعة الكتان.

الربان: مثبتة في الدقلين.

بارباروس: أتمنى أن يمنحنا سلطان البحر عطاياه ويباركنا.

الربان: سيباركنا ما دمنا سوف ..

(صوت الطبول. رايات تتقدم)

بارباروس: جهز ملاحيك..

الربان: لقد جهزوا قبل الوقت و لم يبق سوى أن تأمرنا بالخطف.

(يدخل ميناماس، يحيطه رجال القصر، سماهيج عـــذارى مقشاع، يتقدمهم الكهنة بالتراتيل وهم يقذفون الأغنام والزرع إلى البحر).

الكهنة: يا سلطان البحر.

الجميع: يا سلطان البحر.

الكهنة: لا تغضب.

الجميع: لاتغضب.

الكهنة: إن كنت تريد الأغنام فسنعطيك الأغنام.

الجميع: إن كنت تريد الأغنام فسنعطيك الأغنام.

الكهنة: إن كنت تريد النخل فسنعطيك النخل.

الجميع: إن كنت تريد النخل فسنعطيك النخل.

الكهنة: إن كنت تريد المال فسنعطيك المال.

الجميع: إن كنت تريد المال فسنعطيك المال.

الكهنة: يا سلطان البحر.

الجميع: يا سلطان البحر.

الكهنة: سوف يحل الملك الطيني على مائك ضيفا.

الجميع: سوف يحل الملك الطيني على مائك ضيفا.

الكهنة: هيئ يا سلطان البحر له من بردك صيفا.

الجميع: هيئ يا سلطان البحر له من بردك صيفا.

الكهنة: لا ترسل من أبنائك عاصفة تغرقه.

الجميع: لا ترسل من أبنائك عاصفة تغرقه.

الكهنة: مولانا لا يحمل سيفاً.

الجميع: مولانا لا يحمل سيفاً.

الكهنة: مولانا يحمل حب الناس للمحتاجين له.

الجميع: مولانا يحمل حب الناس للمحتاجين له.

الكهنة: امنحه اللؤلؤ والمرجان.

الجميع: امنحه اللؤلؤ والمرجان.

(يرمون ما بأيديهم من سعف وجلود ولحوم)

خذ منا الخير لتعطينا الخير.

الجميع (وهم يقومون برمي السعف والجلود واللحوم): خذ منا الخير لتعطينا الخير.

الجميع / الكهنة: خذ منا الحب لتعطينا الحب. خذ منا الحب لتعطينا الحب. خذ منا الحب لتعطينا الحب.

(الكهنة يتراجعون يتقدم ميناماس)

ميناماس: يا أحباب جزيرة تايلوس. لو أني أقد أن أرسل شخصاً غيري ليحل محلي، ما كنت تركت التربة رفة عينٍ أو نبضة قلب، لكن إن لم أبدأ في أسفار الموجة ما خرجت سفنٌ للغوص ولا وصل الخبز إلى شفة الأطفال. يا أحباب جزيرة تايلوس، إني ماضٍ عنكم لأبينا سلطان البحر وما في قلبي شيء غير محبتكم. من يملك أكثر من كسرة خبز فليعطي منها للجوعان. من يملك أكثر من ثوب فليكس بالآخر عريان، فنحن كما تدرون أحبائي، جئنا من هذا البحر وللبحر نعود، وعليكم أن تنصاعوا لأوامر باربااروس.

(الجميع مندهشون وهم يلتفتون إلى باربااروس) سوف يدير شؤون جزيرتنا أثناء غيابي.

(سماهيج، مقشاع مندهشون ومتعظون)

الجميع: اذهب لتعود لنا غانما. اذهب لتعود لنا غانما. اذهب لتعود لنا غانما.

(يدخل ميناماس إلى السفينة)

(أبو زيدان يتقدم من عذارى، عذارى تراه وتترل، سماهيج تراقبها، ثم تتبع مقشاع الغاضب)

مقشاع: ابن الكلب!!

سماهيج: (هامسة) اضبط أعصابك يا مقشاع.

مقشاع: ابن الفلاحة يحكمنا.

(يخرجان)

أبو زيدان: هل يعقل هذا؟

عذارى: أوليس النائب؟

أبو زيدان: لكن العادة أن يحكم مقشاع إذا غاب الحاكم.

عذارى: هذه رغبة مولانا.

أبو زيدان: مقشاع سيغضب.

عذارى: فليشرب ماء البحر.

أصوات المودعين: اذهب لتعود لنا غانما

اذهب لتعود لنا غانما

إذهب لتعود لنا غانما.

(إظلام)



المشهد الرابع عشر

القرية

السوق، أبو زيدان، فلاحون، فلاحات، رايات للاحتفال.

أبو زيدان: مات زمان الجوع، وولى زمان الخوف.

فلاح ١ :لكأني أحلم.

فلاح ٢ :اخرج من أحلامك، بارباروس سيحكم تايلوس لثلاثـــة أشهر.

المرأة: دعه في الأحلام فقد تقتله اليقظة.

العجوز: وهم يلد وهماً، بارباروس الفلاح ربيب الطين ونخـــلات المستنقع لا يمكن أن يحكم تايلوس.

أبو زيدان: هو يحكم هذه اللحظة.

الهرم: أتركها يا ولدي، هي لا تعرف ما تنطق به.

العجوز: أعرف أن الآلهة المجنونة لا يمكن أن ترضى أن يحكم فلاحاً تايلوس. آلهة الماء وآلهة الريح وآلهة الحرب ستجتمع الآن هنا لتصيغ لنا قتلاً آخر.

أبو زيدان: لن يسمعك أحد، فالفرحة أكبر من هذا التخريف.

(تأتي مجموعة من الرجال وهم يغنون فرحين، مستبشرين بالنائب بارباروس)

(أغنية جماعية)

ميناماس حبيب الوردة

ميناماس الحاكم صاح

يحكم أرضي حين غيابي

النائب ابن الفلاح

اضحك يا زمن

أرقص يا وطن

قد حان أوان الإصلاح

تايلوس الخضراء الوردة

لن تسكن بين الأحزان

تايلوس الخضراء الوردة

أجمل أرضا للإنسان

اضحك يا زمن

ارقص يا وطن

قد حان أوان الإصلاح

ميناماس حبيب الوردة

ميناماس الحاكم صاح

يحكم أرضي حين غيابي

النائب أبن الفلاح

(والأغنية في نهايتها، يهجم القائد تابع مقشاع وجنوده على القرويين يكسرون كل ما يصادفهم، وهم يصيحون).

أغلق.. أغلق

ادخل بيتك

أغلق بابك

هيا.. أغلق

(ويضربون القرويين ويدخلونهم بيوتهم، وهم يواصلون النداء والضرب إلى أن تخلى الساحة).

(موسيقى حزينة)



المشهد الخامس عشر

القصر، مقشاع، مجموعة من الجنود.

مقشاع: (منتشياً) هل نظفت القلعة؟

القائد: كاملة يا مولاي كما خططت لنا، لكن.

مقشاع: لا أبغي كلمة لكن. قل ما عندك. هيا، لا وقت لدي.

القائد: النائب فر.

مقشاع: بارباروس؟

القائد: و لم يترك أثرا.

مقشاع:(يتقدم ويصفع القائد): أو تتركه يهرب يا كلب، فـــتش عنـــه كل مكان. في الجبل، الساحل، بين بيوت القـــرويين، وراء الهضبة، في المستنقع، بين خرائب تايلوس ومقابرها، فتش بين الجثث المرئية في الساحة.

القائد: فتشنا يا مولاي.

مقشاع: عليكم أن تجدوا الفلاح سريعاً قبـــل هطـــول المغـــرب، أوأقتلكم بدلا عنه.

القائد (في بأس): سنواصل يا مولاي.

(يخرج القائد ومجموعة من الجنود، مجموعة أخرى تبقى مع مقشاع).

مقشاع: هل يفلت ابن القروية؟

(إلى احد الجنود)

أحضر لي الملكة في الحال وأيضا ابنتها.

الجندي: حاضر يا مولاي.

(يخرج الجندي)

مقشاع: (إلى بقية الجنود)

قفوا بالباب ولا يدخل أحدٌ حتى القط بلا استئذان.

(الجنود يخرجون ويقفون عند الباب)

بارباروس طليقٌ!! أي دمار سوف يخططـــه لي؟ مينامـــاس سيحتاج إلى شهر كي تصل الأخبار إليه! سوف أحاصـــره، قبـــل وصول الميناء، امنعه عن تايلوس، لكن بارباروس الأقدر من مكـــر الثعلب كيف أحطمه؟ لن يهنأ لي بال ما دام الملعون طليقاً.

(تدخل سماهيج وخلفها عذارى).

سماهيج: ما هذا يا مقشاع؟ ثلاثة أيام تسجننا في الغرفة. ماذا يحصل في تايلوس؟

مقشاع: لاشيء سوى الخير. لقد رفض الناس نيابة بارباروس. فثاروا في الطريقات، وما كان لدي سوى حل لأعيد الأمور إلى مجراها وهو إزاحة بارباروس.

سماهيج: هل يعني هذا أن يجعل من سيدة القصر الأولى جارية تسجن في غرفتها. لا أقبل هذا يا مقشاع.

مقشاع: ستبقين كما أنت السيدة الأولى.

عذارى: لا شيء يبقى يا مقشاع كما كان، خصوصاً والصرخات المسعورة قد وصلت لقبور الموتى، ماذا تفعل يا مقشاع؟

مقشاع: أعيد البيت لصاحبه.

عذارى: وأبي؟

مقشاع: ما وثق بي. حولني سخرية يتناقلها الفلاحون هنا وهناك. أيعقل أن يحكم فلاحٌ تايلوس.

عذارى: لم يحكمها بارباروس

مقشاع: نيابته تعني الحكم، ولن أرضى أن يحكم أرض أبي فلاح أوعبد.

عذارى: هل أحد يسرق روح أخيه.

مقشاع: لن أنتظر العمر لكي أجد الفلاحين يقودون سفينة تايلوس. وإذا كان الحاكم قد أعياه الشيب، على الأصغر سنا أن يقتحم الخوف ويبدأ مرحلة أخرى.

عذارى: مرحلة الموت.

مقشاع: بل مرحلة الفرحة.

سماهيج: غدارٌ أنت. لماذا لم تخبرني؟

مقشاع: الأخبار إذا شاعت فسدت.

عذارى: رائحة الغدر تفوح ولو غطتها كل عطور العالم.

سماهيج: لم تطلبنا لتشاورنا في مسألة الحكم. عذارى فلنمشِ.

مقشاع: قفا. لا أرغب في أن أدخلكما فيما لا شأن لكما به.

لكني أحببت بأن أخبركما.

(إلى سماهيج)

إنك سوف تظلين الملكة.

عذارى: الملكة!!

سماهيج: كيف وزوجي الملك المغدور به مازال بعيدا في البحر يصارح حيتان الظلمة.

مقشاع: أتزوجك.

عذارى (بسخرية): ماذا؟

مقشاع: أتزوجها كي تبقى الملكة.

سماهيج: لكني زوج أخيك.

مقشاع: ماذا في ذلك؟ من يجلس فوق العرش له كل الحق بما تحت العرش. القصر، الجند، الزوج، القلعة، لست عجولاً وأمامك متسعٌ للتفكير.

عذارى (بنظرة ذات معنى): ولماذا التفكير؟!

(ثم بغضب)

أتسرق عرش أبي بالقوة ثم تكلمنا عن رغبتك المحمومة بالملكة، خذها بالقوة كي تكتمل الصورة يا مقشاع.

مقشاع: أنا عمك.

عذارى: سارق حكم أبي والراغب في أمي.

مقشاع: ما دخلك أنت.

عذارى: ما دخلي، قولي شيئا يا أمي.

سماهيج: أرجوك عذارى، يكفي.

عذارى: يكفي!!

سماهيج: لا أرغب أن أتكلم في هذا الموضوع.

عذارى: وهل نمتلك الآن سوى هذا الموضوع. سنصبح سخرية العالم. يرتحل الحاكم للصيد فيسرق منه الحكم وتسلب زوجته، ياللعنة. هل أنت شقيق أبي؟

(تبصق في وجهه)

مقشاع (بغضب ويصفعها): سأحول جسمك مزبلة في الطرقات. وصوتك مقبرة ينعب فيها البوم.

سماهيج: يكفي. يكفي..

(تنهار)

عذارى: اضرب كي يعرف كل العالم أن عذارى ترفض اسمك، وجهك، صوتك، رائحة الأقذار الطافحة الآن من الحلق الأكثر عفناً من مستنقع. اضرب.

مقشاع: سأحول تايلوس الخضراء جزيرة أفراح.

عذارى: ستحولها يا كلب خرابا، ستحولها يا كلب خرابا.

الجزء الثاني

الوهم



الشخصيات

عذارى

أبو زيدان

سماهيج

سترة

مقشاع

سينياباس

واديان

الحارس



المشهد الأول

صوت ريح قوية. في الخارج.. عند حائط الحديقة عذارى، أبو زيدان، ليل.

عذارى: الريحُ. كأن الريح نذير يجثم فوق صدور الناس. أبو زيدان! أبي في البحر وبين يد الأمواج، أخاف عليه من التيه، أخاف عليه من القرش.

أبوزيدان: أبوك يعي كيف يعالج هذه الريح، ويعرف كل الجزر المزروعة في البحر، سيسكن واحدة منها لو داهمه خطر، لكن اللعنة في تايلوس. اختلط الأمر عليّ. فلا أنظر شيئاً في الأفق. ولا أسمع غير هسيس الموت. الموت. الموت. لماذا يحدث هذا يا آلهة الأرض؟

عذارى: أبي في الغبّ وعمي يغتصب الحكم وبارباروس ورفقته مطلوبون إلى الجلاد، وأمي تسحبها رغبتها كالقطة للدفء، وأنا لا سند عندي، والساحة خالية والناس بلا رأي. غول الخوف يمد يديه ويبطش. ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟.

أبو زيدان: تبقين كما أنت إلى أن نجد الحل.

عذارى: وما الحل؟ إذا لم أعرف أين هو العقل الواسع باربـــاروس وأي مكان يسكن؟ لا أعرف كيف تواصل تـــايلوس المفجوعـــة ضحكتها؟ صارت جسداً محتقناً بالدم وتلعق منه الغربان وتلهو فيها البوم، أنسكن مقبرة أو مدنا عامرة بالناس؟!

أبو زيدان: عليكم أن تلتجئوا للحيلة في السر.

عذارى: علينا!! هل هذه المسألة، اللعنة مسألتي الخاصة؟! مـــسألة الحاكم ميناماس وابنته!! لا يا أبن الناس. أنا لا أتكلـــم عـــن رد العرش إلى أصحاب العرش، ولكن رؤية هذا الظلـــم الـــسائر في تايلوس المسكينة كالتابوت يسير ويخترق القرية الأخـــرى، يقتلـــع الساحل الصحراء، على كل الناس مراجعة الموقف.

أبو زيدان: الناسُ عبيدُ الأرض، قرويو تايلوس، ملاحوها الجوعي، صيادوها المربوطون بدينٍ ليس له آخر، منذ متى صار لهم رأياً؟ إن الناس هنا لم تتعود أن تفصح عن موقفها، فلقد علمهـــا الخـــوف اليومي معاشرة الصمت، وإن كان لها رأياً في مسألة ما، فعليها أن تخفيه بداخلها المرعوب.

عذارى : ظننت بأنك تعرف ما أتصوره حتى قبـــل النطـــق بـــه، وخصوصا أنك أقرب إنسان لي، معك شاهدت النور، رأيت القرية

في حالات البؤس، رأيت مبانيها وخرائبها وقذارتها ومجاعتها وتعاستها، وسمعت الطرقات وهي تئن، عجوز القرية تلك المعجونة بالطين أضاءتني بتهكمها، بالسخرية الممزوجة بالبؤس. أنا لا أنسى نظرتها، سخرت من فستاني، من كحلي، من وجهي، من بشرة لوني، من...

أبو زيدان: أنسيها.

عذارى: لن أنسى ما قالته أبدا. صدمتني بالكلمات، شعرت كما لو أني أغرق في الوحل.

أبو زيدان: عجوزٌ نخرها العمر و لم تفقه شيئا مما قالته.

عذارى: بل كانت أكثر إدراكاً مني، منك ومن كل القرويين ونواب الفلاحين وأعيان جزيرة تايلوس، امرأةٌ داخلها قلب حجم الشمس، ترى أبعد مما تنظر، تعرف أكثر مما نعرف. هل تأخذني لأراها. أسمعها وأحدثها. قد أكشف أسراراً لم أعرفها، قد أعرف أشياء لم يخبرني عنها أحدٌ من قبل.

أبو زيدان: لكن.

عذارى: خذني. أرجوك أبا زيدان. إلى القرية خذني.



المشهد الثاني

قصر. سينياباس، واديان، مجموعة من الرجال ينصتون إلى حديث واديان الوقت مساء.

واديان: وكما تعرف يا مولاي فإن إله الأمطار يعذب وهو يفتش عن إنشاء الخضراء، فلم يترك بلداً إلا وشمّها بخضاب القـــدمين ولم يدخل مملكةً إلا زلزلها بمعاناة العاشق والمقهور. وما هـــذا الرعـــد المسموع لنا غير صدى الصرخات وما هذا البرق ســـوى خـــيط الدمع.

(صمت)

سينياباس: وهل صادف إنشاء؟

واديان: مازال يفُتش عنها في الطبقات العليا والطبقات السفلى.

الحارس (وهو يدخل): مولاي.

(يدخل خلفه رجل مكتوف الأيدي)

سينياباس: من هذا؟!

الحارس: لا نعرفه.

سينياباس: أي الريح رمتك علينا يا ابن الطين.

الرجل: مفجوعٌ تاه كقطرة طلٍ في اليوم القائظ. لم يعرف أي طريق يذهب.

سينياباس: مفجوع؟!

واديان: ما أسباب الفجع؟

الرجل: مقشاع الطاغي.

سينياباس: هذا يعني أنك من تايلوس المزدهرة.

الرجل: بل تايلوس المحتضرة.

واديان: هل تخبرنا عما يجري.

سينياباس: أخبرني أنت. أيحدث شيء في تايلوس ولا نعلم عنه؟ نحن الأقرب من كل البلدان لها. أي حديث أسمعه يا واديان أي وزير أنت ولا تسمع.

واديان: مهلا يا مولاي. عيوني أوسع من ساحل هذا البحر، ولكنك تعرف أن رياح الموسم لم تهدأ منذ حوالي الأسبوع، فلا فلاح في الدنيا يقدر أن يعبر في الجو العاصف عدة أمتار. لهذا لم يحضر أحدٌ أو يذهب في هذه الفترة. وإذا يسمح مولاي، لنسمع ما يخبرنا به.

سينياباس (إلى الرجل): انطق يا هذا.

الرجل: بعد رحيل أمير البحر إلى الغوص على اللؤلؤ، اغتنم الفرصة هذا الطاغي، صعد العرش على جثث الناس وطارد كالذئب وراء الماعز، نواب الفلاحين وشرد أعيان البلدة، حّول كل النـــاس إلى سجناء. كلٌ في بيته، لا يخرج منه، ولكي يتزوج زوجة مينامـــاس، أخاه، توسّع في نهب الأرض، لقد أخذ العسكر بـــيتي، أغنـــامي، زوجاتي، وضرّبت علانيةً قرب البيت أمام عيون صـــغاري. هـــل تتصور يا مولاي شعور الأب إذا ضربوه أمام عيالـــه. أحســـست برائحة الموت غراباً ينقر أعماق الجلد، هربت بأول قارب صيد مر أمامي. أسبوعٌ يا مولاي وأنا بين الأمواج، أرى أفقا لا يأتي، وأرى القرش يلاحقني، لكن سلطان البحر، رماني فوق الساحل، مولاي أنا في رحمتك اللحظة. جوعان كالقحط، وعطشان كالملح، فخذ بيدي.

سينياباس: متى يتزوج هذا المعتوه؟

الرجل: في الأسبوع القادم، لكن، آخ.. أعذرني يا مولاي نسيت الأيام.

سينياباس (إلى الحرس): خذوه وأعطوه طعاماً ومناماً.

الرجل: شكراً يا مولاي.

(الرجل يخرج مع الحراس)

واديان: ماذا في بالك؟

سينياباس: ما لم تتخيله من قبل.

المشهد الثالث

غرفة مساء، عذارى، سترة

سترة: لا أحدٌ يعرف أي معاناة تحبها المرأة في هذه الأرض، دمارٌ يسكن كالنقرس بين نخاغ الأضلاع، عذارى. ربيت كثيراً غيرك، دللت الأطفال، ولكن لا أحد دللني، لا أحد يعرف كيف أمـــوت هنا. عايشت القرويين وعاشرت الأعيان وجئت لكم. كنت أظن القصر مساحة أفراح. فوجدت السجن. نعم. ســجن الجـــدران، تتقلب فوق سرير لا دفء به. الآن وصلت الستين و لم أتذوق طعم الحب. وصلت الستين و لم أعرف أي شعور تشعره المـــرأة وهـــي تخوض زفير اللذة. منذ بلوغي وأنا أحلم بالفـــارس يغـــزو مـــدني الظمأي للفرحة، لكن الوقت يمر ولا أحد يفتح بابـــاً أو صـــدراً أوكلمة شوق. أتصورني حجراً، كرسياً طاولة في هذه القلعـــة. لا زوج يؤنسني، لا ولد يحمله رحمي، حتى في الموت. أتدرين عذارى أني أخشى الموت، فلن ألقى أحداً يبكيني، ولذلك تلقيني أجد اللذة

في إطعام الحيوانات، كأني أطعم أولادي. ماذنبي!! المرأة مـــن دون الزوج غدير جف الماء به. ما جدوى النهر بدون الماء؟ عذارى إن العمر يمر، شقيٌ من لا يغتنم الفرصة إن كان هناك مجال للأفـــراح. شقيٌ من لا يضحك إن كان هناك مجال للضحكة.

عذارى: يكفيك التعذيب.

سترة: دعيني يا ابنة حبي أشرح عما في صدري. فالكبت تزايد في جوفي، ما عدت بقادرة أن أحمله وحدي، إن لم أتكلـــم فـــسوف أموت قبيل الموت.

المشهد الرابع

القرية، رجال، نساء، الوقت مساء.

أبو زيدان يتحرك إلى جهة ما، يتبعه رجل ملثم، يقف خلفه، إنـــه بارباروس، ملثم متنكر بشكل قروي أعرج.

بارباروس: البرهامة.

أبو زيدان (وهو يلتفت إليه) سيدة تبحث عن صاحبها المقتـــول. تأخرت.

بارباروس: هروبك من عين جنود الطاغي يحتاج إلى أقنعة لا حصر بها، ما أخبار عذارى؟

أبو زيدان: بل قل ما أخبار التدريب؟

بارباروس: دربنا أغلب شبان قرى تايلوس، لكن نحتاج إلى أسلحة أكثر، كل الحدادين يقومون بتصنيع سيوف ودروع وخناجر مـــن أدوات الحرث ومن تجميع مسامير البوابات الملقـــاة في الطرقـــات، ولكن لا تكفي. المشكلة الأولى هي في بعد الحاكم عنا.

أبو زيدان: لكنك نائبه.

بارباروس: نائبه في ماذا؟ هل نحيا في وضعٍ شرعي كي يعني النائب شيئاً. الآن علينا أن نبني أنفسنا كي لا يقلعنا مقشاع، فقد ملأ الزنزانات بشبان قرانا. قل ما أخبار عذارى؟

أبو زيدان: طلبت أن تأتي القرية.

بارباروس: هل عرفت أني فيها؟

أبو زيدان: لم أخبرها حتى الآن فقد تتحمس أو تتسرع بالقفز لإنهاء الأمر، وهذا سوف يعطل فرصتنا في تشكيل مقاومة أقوى ضد الطاغي مقشاع.

بارباروس: أبو زيدان، عليك رعايتها. أنت الأكثر مني حركة. فوجود عذارى معناه وجود الاستمرارية في تنظيم الناس ولا شرعية مقشاع.

(في هذه الأثناء تدخل مجموعة من جنود مقشاع، تتحرك وتضرب الناس).

القائد: هيا للداخل، هيا يا فلاحين، هيا يا حشرات.

أبو زيدان: أأين أراك؟

بارباروس: الليلة، عند الساحل.

(بارباروس يختفي وهو يعرج)

القائد: ممنوع. للداخل يا حشرات. للداخل يا قرويين.

(إظلام)

المشهد الخامس

القصر، مقشاع، سماهيج، ليل

مقشاع: ما شأن عذارى بي وبك؟

سماهيج: أخشى أن تكرهني.

مقشاع: ليكن. لن يتغيّر شيءٌ في هذا الكون ولن تصعد هذه الأرض إلى الجوزاء، ولن تترل آلهة الشمس لكي توقفنا عما نحلم به. لست بأول امرأة تتزوج سيدها الحاكم، أم أنك رافضةٌ.

سماهيج: أرفض ماذا؟

مقشاع: (يتغزل بها) أن ألمس هذا الجسد الناضج مثل أزاهير جزيرتنا وأداعب أمواج الساحل في شعرٍ يمتد من العيد إلى العيد ليربطني في الخصلات.

سماهيج: أتغازلني أم تتغزل بي يا مقشاع.

مقشاع: الاثنان معا. إن لم أتغزل في أجمل امرأة عرفتها عيناي وهام بها جسدي، صارت شيئاً من روحي فيمن أتغزل؟ يا امرأة

الحلم وسيدة اليقظة. ميناماس الخرفان تحّول كابوســا يــوقظني في النوم وكم كنت العصفور أخاف الفزاعة ميناماس. الآن حبيبــة قلبي أقدر أن أتنفس بعد نهاية ميناماس وسيطرتي التامة في تايلوس. لم آخذ هذا العرش سوى من أجل سماهيج.

سماهيج: فتوّة روحي يا مقشاع، إذا كانت أفراخ اللــوز مهيئــة للصيف فقلبي أكثر إيقاظا منها، وإذا كانت زهرة عباد الــشمس تدور بضحكتها نحو الضوء فأنت الضوء وأنت هواء الروح وأنت التربة، لكن يا مقشاع عذارى.

مقشاع: عدنا ثانية لعذارى، كم أتقزز من اسم عــذارى. مــن إقحامك إياها في أحلى اللحظات. لماذا تعطين عذارى حجما أكبر مما تملكه؟ إن الشوق إذا لم يصل الشاطئ في وقت الرغبة ســوف يذوب.

سماهيج: أحاول أن أقنعها.

مقشاع: إن لم يعجبها الأمر عليها أن ترحل مــن هــذا القــصر وتبحث عن سكن أو عن تسلية تشغلها عني.

(ثم بغضب)

ماذا تبغي هذه الحمقاء المغرورة؟ هل نرضخ تحت مشيئتها. هل نتركها تتحكم فينا حتى درجة المنع من الفرحــة. لا أعــرف أيكما الأم وأيكما البنت.

(هائجا)

عذارى يا بنت الكلب. عذارى.

(عذارى تخرج من غرفتها بثياب النوم تتبعها سترة)

عذارى: ماذا يا مقشاع؟

مقشاع (بسخرية): كذا حافة. مقشاع. بلا كلمة مولاي. ألا يوجد عندك بعض الذوق. ألا يوجد عندك بعض الإحساس؟ أنا ما عدت وزيراً عند أبيك. أنا الحاكم قولي يامولاي.

عذارى: وهل تتصور يا مقشاع بأن الحاكم يحتاج إلى هذه الكلمة. قد أنطقها رغما عني، لكني أبدا لن تقنعني أن أعطيها إياك. فلست الحاكم، بل مغتصب الحكم ولست القادر أن تعطي هذه الألقاب مكانتها، الثوب طويل يا مقشاع عليك، فحاول أن تلبس ثوباً في حجمك. إن أبي سيحوّل وجهك مزبلة للتاريخ.

مقشاع: الآن، أنا الآن، أدير جزيرة تايلوس وأحرك من فيها، الطرقات، الفلاحون، الأعيان، الصيادون وما يتنفس من طيرٍ أوحيوان. هنا، كلهم تحت يدي، عليك إطاعة أمري.

عذارى: أمرك!! تعني بطشك، ثق يا مقشاع بأن عصاك المرفوعة فوق رؤوس أهالي تايلوس لن تورث غير حصى في حلقك.

مقشاع: أاعرف كيف أذل الواقف ضدي، سوف أحولُ ضوء الشمس إلى ليلٍ في وجه المدن البحرية.

عذارى: هذا أوضح من أن تخفيه. فمثلك يا مقـــشاع كـــثيرون يظنون بأن القوة والبطش وتعذيب الناس هو الحكم، وهذا النـــوع من الحكم إذا طال علينا بعض الوقت فلن يبقى حتى آخرة العمر. غلطان من يعتمد السيف جداراً يسنده كي لا يسقط في الوحـــل. فهذا السيف سيصدأ والجدران ستهدم.

مقشاع: هذه كلمات لا تنطقها إلا القرويات الـــسذج وبنـــات العامة، لا ابنة الحاكم. من علمك اللعنة؟

عذارى: كانت عيني مغمضةٌ ففتحت العين وكنت الخرساء ولكني الآن سمعت فحيح الموت الجاثم فوق صدور الناس هنـــا فعرفـــت النطق. إذا خان الإنسان أخيه فليس كثيرا أن يصبح هذا الخائن عبد خيانته.

مقشاع: كلبة.

سماهيج: أعرف أن وراء مشاكلنا أخبث رجل في الدنيا، الرجـــل الشائخ كالموتى، بارباروس.

مقشاع: سأعلق جلدته الطينية فوق جميع البوابات، ليعرف معـــنى غضبي.

المشهد السادس

القرية، مجموعة من الأهالي، يسيرون في مجموعات كـــل منهم يحمل نعشا، يدخلون المسرح وهم يرددون، بشكل جنائزي ويضربون علي رؤوسهم.

المجموعة: يا دا موزي، يا دا موزي، يا دا موزي.

ودعناك كما الأشجار تودّع خضرتها عند نهايات الصيف.

يا دا موزي يا دا موزي يا دا موزي

ودعناك كما الأنهار تجفف دمعتها

يا داموزي يا داموزي يا داموزي

كنت لنا ملكا وإلهاً

كنت لنا ابنا وأباً

يا داموزي يا داموزي

ذهب الصيف وجاء الصيف

ذهب الموت وجاء الموت

يا داموزي يا داموزي يا داموزي

نعرف أنك تسمعنا في الأرض السفلى

يا داموزي يا داموزي يا داموزي

نعرف أنك تنظرنا بين عيون العتمة

يا داموزي يا داموزي يا داموزي

الخير مضى يا داموزي

والنور مضى يا داموزي

(يخرجون من المسرح)

أبو زيدان: بدلا من تعذيب الذات، أليس من الأفضل تجميع عذابات الحزن لتكون على هيئة نهر يجرف هذا الظلم مع الظالم.

الهرم:لو لم يرهقني العمر لكنت أرافقهم في الطرقات.

أبو زيدان: لماذا الحزن الدائم في تايلوس؟

الهرم: بلا جلد الذات على ماراح ومن راح إلى الموت يكون العيش محالا، من يقدر أن يحيا لو لا هذا التخفيف عن الكبت بجلد النفس وجلد الجسد الميت!! من يقدر أن يسترجع حزن النفس، يعيد توازنها ليواصل هذا لعيش المر.

أبو زيدان: حاكمنا في برد البحر وعائلة الحاكم في القلعة. لا خبر يتناقله الطير ولا شيء يتواصل. لا شيء غير الموت. الميناء يحاصره العسكر. لا أحد يعرف عما يجري في الطرف الآخر. داموزي مات ولن يجدي الدمع. علينا أن نفعل شيئاً.

الهرم: ماذا نفعل؟

العجوز: لا شأن لنا بمشاكلهم، فلدينا ما يكفي من هم.

المرأة: دعنا منهم أن كنت تريد العيش.

أبوزيدان: مجيء الطاغي مقشاع إلى تايلوس الوردة أثر في معنى العيش. مجاعتنا زادت. مقشاع الطاغي ضاعف حصته في الأرض، لقد منع الماء وألغى صيد البحر وحاسبنا في حجم وقود الأكل، وهذا لم يحدث من قبل.

العجوز: لا فرق بين الحاكم والحاكم، لا فرق بين ضراوة ميناماس ومقشاع أخيه، يأتلقون على الظلم ويختلفون على كيفية تطبيق الظلم.

المرأة: فخارٌ يكسر فخارا.

أبوزيدان: حاول ميناماس مساعدة الفلاحين، أعدّ قوانين الأرض وأعطى الحرية للفلاح بأن يخرج من قيد عبوديته الأزلية. هل نتركه وحده في الأزمة!

الهرم: ماذا نعمل؟

العجوز: لم يشركنا في رأي، لم يسمعنا، لم يعرفنا أيام العز. لماذا يطلبنا أيام الأزمة؟ لو كان حقيقياً ما أورثنا البؤس طوال العمر وعلينا في أكواخ العتمة.

أبو زيدان: كان يحب جميع الناس، جميع قرى تايلوس وأهاليهـــا، لذلك اختار لكم بارباروس.

المرأة: بارباروس نسانا.

الهرم: طبيته لا تشبع طفلاً مات من الجوع.

العجوز: حكمته لم تبنِ لنا الأكواخ.

المرأة: تركنا للصيد وأهدانا لأخيه. لا فرق بين الاثنين.

أبوز يدان: مختلفٌ ميناماس عن كل ملوك الدنيا. ميناماس يحـــب أهالي تايلوس ويعتبر الواحد منهم، حتى لو عبداً كان له ابناً.

العجوز: الحب ممارسةٌ يا ولدي، لا كلماتٌ تلقى في الأعياد. فقل لي ماذا أعطانا ميناماس الغالي غير وعود لا تنفع حتى الحيوانـــات، وماذا أعطانا بارباروس سوى أن جمد بالكلمات مشاعرنا. هـــذا قدر الفلاحين يضيئون التربة بالعرق اليومي ولا يجدون القـــوت. وهذا قدر البحارة يحتفرون البحر الممتد ولا يجدون سوى الموت.

أبو زيدان: أرى البأس تعنكب فيكم.

العجوز: من فرط الجوع

الهرم: من فرط الأمراض.

المرأة: من فرط الخوف.

(إظلام)

المشهد السابع

عذارى وحدها، ليل، سترة، سماهيج

عذارى: أرى. ماذا أرى. موتٌ يحنطني، يدي لا تستطيع القــول. كيف أعيش في زمنٍ تحوّل جثةٌ في خارج التابوت؟ يا قلبي. أحقــا هذه تايلوس. جزيرتنا وموطن غابة المرجان.؟ كيف أبي؟ بعيدٌ أنت من عيني. أخوك الكلب يسجنني. تحوّل عقربا والأم!! هــذه الأم ثعبانٌ يدور، يدور، ينفث سمهٌ في كل ما يلقاه من حجرٍ ومن وبــرٍ ومن أشياء، ما أفعل.

(في هذه الأثناء تدخل سترة)

سترة: مولاتي.

عذارى: ماذا يا سترة؟

سترة: إني خائفة يا مولاتي.

عذارى: لن يؤذيك جنود القصر ولا مقشاع فأنت من ربيتي والأم الأخرى.

سماهيج: كابوس أيقظني من سفر النوم، حلمت كأني حجر قـــرب البحر وأنت خيوط مياه تنبع تحتي، تغسلني، فـــأعود إلى نفـــسي. يتوقف هذا النبع، أعود إلى حالتي الأولى حجـــراً، تتجمـــع كـــل الأحجار، وأنت الماء يحاول أن ينطق، أن يهمس، أن يفلق جـــدار الأحجار فلا يقدر، صوتك نخل مقطوع الرأس، يداك شراعان بلا صارية والناس بدون لسان، بدون عيـــون ولا آذان. عـــذارى إني خائفة.

عذارى: يا أمي الحلوة. تفكيرك فيما نحياه من الهم وكبتك للغبض نهاراً يخرج ليلا في صورة أحلام وكوابيس، فلا داعٍ للخوف.

سترة: خوفي ليس على نفسي، بل كل الخوف عليك، جمالك يفتن حتى الأحجار فتنطق بالكلمات وترسم بالألوان.

عذارى (ضاحكة ومخففة من خوف سترة): إذن ستكون عذارى فتنة هذه الأرض تعيد الخضرة للأشجار وتسترجع ذاكرة التربة.

سترة: (جادة) بل أكثر من هذا يا ابنة ميناماس. أخاف عليك من الشمس إذا اقتربت من حمرة خديك تسيء إلى أنهار الجفن، أخاف عليك من الظل إذا لامس خصلة شعرك، تحت الظل هناك عيـــون تحرق من تنظره وأخاف.

عذارى: كفى قلقا يا سترة. واقعنا الآن هو الكابوس. علينا أن نحلم بالأجمل. عودة تايلوس كالسابق، تايلوس الخضراء بدون أبي قبرٌ، بل موتٌ يمشي في الساحات العامة والأسواق.

سترة: وهذا ما يقلقني.

(تدخل سماهيج، حين تراها سترة، تخرج منكسة الرأس)

سماهيج (ساخرة): أية أسرار تجمعُ أرض بسماء. عذارى مع سترة.

عذارى: ما يجمع قلب الأم وابنتها.

سماهيج: سترة!! أمك!

عذارى: بل أكثر من هذا.

سماهيج: وأنا..

عذارى: أنت الرحم ولست الأم. أتدرين بما أشعر نحوك في هذه اللحظة. أشعر أني لم أخرج من رحمك، بل من صحراء. أمعاؤك كانت رملا، ثدياك المرتفعان على وحلٍ شوكي ما كان إلا حجرين. وقلبك ليس سوى كهف باضت فيه كل أفاعي الدنيا. أتسأل: هل رحمك حقا ضم بداية تكويني؟ هل كنت النطفة في بطنك؟ أم كنت المسجونة في قبرٍ سموهُ الرحم؟

سماهيج: عذارى. لا تقفي سوراً في درب حياتي. هل ترضين بأن أتحول عظماً مكسواً بالجلد لكي ترتاحي من الغمز القاسي منذ

مصارحتى لك بالرغبة في أن أحيا مثل جميع نساء العالم. هل ترتاحين بأن أترك هذا الوجه القمري وهذا الجسد الممشوق لتروي أو تأكله الديدان؟ أنا جسدٌ محموم للحب فهل أترك نيراني تبرد في تنور الأشواق فقط من أجل هدوء وراحة بال عذارى؟ لا. هذا لا تقبله آلهة الأرض ولا آلهة الحب.

عذارى: وهل تقبل آلهة الأرض وألهة الحب خيانتك اليوم لمن أعطاك الاسم وأعطاك الحب وأعطاك الأمن وصيّرك سيدة تتكلم عنها كل البلدان. وحوّلها طاووساً يمشي في طول وعرض مساحة تايلوس.

سماهيج: عقلك أصغر من أن يستوعب ما تحمله روح الأنثى. وحداثة سنك لا تعطيك الإمكانية في إصدار الأحكام. إذا جربت الحب غداً سترين وتقتنعين بقولي.

عذارى: إن حداثة سني تعطيني أن أنظر للصوب الطاهر، غير المتلوث. أين ترين وجودك؟ لا أم، لا زوجٌ ، بل أنثى تفتح ساقيها كالساحل للبحر.

سماهيج: المرأة أنثى والأنثى بطبيعتها تحتاج إلى ذكر يمنحها معناها، يمنحها معنى أن تتواصل في العمر.

عذارى: وأبي، زوجك، حاكم تايلوس، ما موقعه من قلبك يا أنثى؟

سماهيج: رجل مثل رجال الدنيا، أدى دوراً ثم مضى، لا أحد يعرف هل حياً مازال على الأزرق أم أكلته الحيتان. أبوك غبارٌ يملأ ذاكرتي.

عذارى: ما أقساك امرأة. لا أعرف كيف تنامين كنوم الموتى. شيء لا يقلقك. أي دمٍ يجري في شريانك؟ أو لا توقظك أنفاس أبي!! أو لا يرجعك صوت أبي نحو لياليك الأولى!! أو لا يرجعك صمت بكائي بين قماط اللعنة؟ لا أتصور أنك من أرضعني يوما من شوق الصدر.

سماهيج: دعي الماضي يمضي؛ العاقل من يحيا لحظته، إن راحت هذه اللحظة لن ترجع أبدا. وعلينا أن نأخذ فرحتنا هي فرصتنا أن نحيا يا ابنة ميناماس.

عذارى: فرصتك وحدك.

سماهيج: إن لم نأخذها اليوم سنرمي مثل الحيوانات الضالة في الطرقات، يطاردنا الأطفال وتسخر منا القرويات. أترضين بأن نبقى مثل جواري القصر، تعاملنا من تأتي كمعاملتي للخدم الآن؟ إذا اقتربوا مني أنهرهن وأبعدهن إلى الخارج. هل نبقي مثل جوارينا؟ كوني عاقلة لترين الواقع! ما عاد لنا متكأ نتكئ الآن عليه. علينا أن نغتنم الفرصة أو سنكون الهامش بعد مكانتنا في المركز.

عذارى: تبريرات. تبريرات. تبريرات. الكون مليءٌ بـــالتبريرات. لكل الأشياء، لكل الأغراض، لكل الأقطار، لكل النفسيات، هناك تبريرات لا حصرلها، يا سيدة التبريرات.

سماهيج: كنت البؤرة للضوء، سأظل كما كنت الملكة.

(صمت)

(ثم متداعية)

أحتاج إلى من يحميني!

عذارى: مماذا؟

سماهيج: مني، من أيامي، من شهواتي، الخوف يدمرني وأكاد أحس بجلدي يقطر خوفاً، أنك تمتلكين شجاعة قلب لا أملكها، فأمامك عمر يمتد وليس أمامي غير سراب اللحظة، غير ضـــبابتها، لـــيس الناظر للأفق كما الناظر ما تحت يديه. قلوب النوة ليست واحدة. هل أقتل نفسي؟

عذارى: لا أحد يتكلم عن قتل النفس وأجزم أنك آخـــر امـــرأة ستفكر في هذا.

سماهيج: لا يعني القتل بأن تبتلعين السم، ولا يعني قطـــع الرســـغ بأسنان الخنجر. قتلك نفسك يعني أن تحبين البؤس وترضين بـــه. يعني أن تنكسرين وراء الحاجة مثل الكلبة للعظم، ويعني أن نحيا في الحسرة والأحزان، على الرغم بأن هناك مجال لحياة أفضل.

عذارى: أي حياة تعنين؟ حياة في أحضان القاتـــــل. أم في أحزان المقتولين. روائح قتلى تايلوس مازالت تصرخ في كل فراغ وهواء.

سماهيج: لم يقتل أحد منا حتى هذه اللحظة.

عذارى: مَنْ سرق العرش من الحاكم، من أسنان أخيه وابن بيـــه، ليس عليه كثيرا أن يقتل من سوف يعيق تحركه. إن لم يقتلنا الآن، أنا وأنت غدا سيكون. فقد استأصل أطيب شبان جزيرة تايلوس، جندل من خالفه في الرأي وطارد من عارضه، ماجف الـــدم مـــن الساحات العامة. ما جف الدم من الميـــدان الخـــامس والـــسادس والسابع حتى الآن ولا أتصوره سوف يجف.

سماهيج: جنود، فلاحون، عبيدٌ، غواصون، رعاعٌ، ماتوا أم عاشوا فالأمر سيان. علينا أن نحفظ أنفسنا من هذا الموت.

عذارى: دم لا ينتج غير الدم. وتايلوس ابنة آلهة الأزرق لم تعرفـــه الماضي. لم يدخلها الرعـــب ولم تعـــرف طعـــم الزنزانـــات ولا الإعدامات اليومية. لا أعرف كيف تحسين مذاق الفرحة بين يدي مصاص دماء جزيرتنا.

سماهيج: هذا شأني. مادمت أعيش حياتي هذه الأقصر مـــن غـــيم الصيف كما يهوى سأكون له. فإذا كنت اللحظة قادرة للضحك على نفسك أو تجدين الراحة في هذا التعذيب أنا لا أقدر أن أتحمل هذا. جلد النسوة مختلفٌ في القوة والإحساس. فبعض منا يتحمـــل الشمس وبعض منا يتحمل البرد، وجلدي لا يتحمل هذا أو ذاك.

المشهد الثامن

القصر، ليل

سينياباس، واديان، مجموعة من القواد

واديان: بارباروس طليق، وأبو زيدان هو الرجل الثاني، يتحرك في الساحة تحت أوامر بارباروس المتخفي في الأحراش.

سينباباس: أبو زيدان هو الرجل الثاني!! من هذا؟ لا أعرفه.

واديان: فلاحٌ لم يتعدَّ العشرين، ذكي جدا، وعنيدٌ كالثور، به يثق الفلاحون إلى حد الموت، لهذا يتحرك كالماء من القرية للأخرى وينظم مجموعات للتدريب، ولا أحد يعرف من أين أتي؟! ما يعرفه البعض قليلا. لا أكثر من والده الأعمى.

سينياباس: الأمر اتضح الآن. مقاومة الأعيان وكل الفلاحين الجوعى من جهة، والجهة الأخرى مقشاع المكروه وغير معروف ما يصنع. أي أن الاثنين بلا حولٍ أو قوة. الحاكم لا يقدر أن يمضي

بقيادة دفة هذا الحكم ولا الحكومين لهم أية إمكانية عيش في ظـــل الظلم. لهذا الآن علينا أن نغتنم الفرصة في الزحف علـــى تـــايلوس والاستيلاء عليها من دون ماء.

واديان: لكن يا مولاي.

سينيباس: أعرف ما في ذهنك. ميناماس!!

واديان: نعم.

سينيباس: ميناماس. إذا جاء لنا قبل وصول جيوش المرجـــان إلى تايلوس سوف نساعده في العودة للحكم، ولكن تحت شـــروطي الخاصة. إما أن لم يأت في هذا الوقت فعلينا التفكير في شيء آخر. فأعدوا العدة للزحف.

المشهد التاسع

القصر، مقشاع، القائد، أبو زيدان، جنود، عذارى

مقشاع: وأخيرا جاءوا بك يا حيوان.

القائد / الجنود (في جوقة): تكلم . انطقْ. قلْ

مقشاع: في أي مكان مخبأ بارباروس.

القائد / الجنود (في جوقة): تكلم. انطق، قلْ.

مقشاع: في أي مكان مخبأ بارباروس.

القائد: دعني أقطع هذا الرأس.

مقشاع: تكلم يا حيوان. تكلمْ.

(وهو يصفعه)

هل تتصور أنك بالصمت ستقدر أن تتخلص مني.

انطقْ

(في هذه الأثناء نرى سترة تسمع الحوار وتقف. تراهم يضربون أبا زيدان.. تعود إلى المكان الذي خرجت منه).

مقشاع: انطق يا ابن الكلب.

(يضربه)

انطق يا ابن الفلاحة.

أبو زيدان: الآن سأنطق يا مقشاع. يــشرفني في أن أبقــى ابــن الفلاحة، ويشرفني أن أحمل هذا اللقب الرائع حتى آخر يــوم مــن عمري، لكن حين تكلمني بالشتم، وتنعتني بــالحيوان فحــاول أن تبحث عن شخص آخر يحمل هذا الوصف.

مقشاع: نطقت إذن. قل لي أين مخابئ بارباروس؟

أبوزيدان: ومن أين سأعرف مخبئه؟

مقشاع: أو لا تعرف بارباروس النائب!

أبو زيدان: لا أعرفه؟

القائد: دعني أضربه كي يتكلمْ.

مقشاع (إلى القائد): اصمت.

(**إلى أبي زيدان**): العالم يعرف بارباروس ولا تعرفه؟!

أبو زيدان: أعرفه بالاسم كباقي الناس ولكن لا أعرفه شخــصيا، أين يكون الفلاح من النائب.

مقشاع: لا تعرفه!! لا تعرفه!!

(إلى القائد)

خذوه إلى القبو ولا تعطوه أكلا، ولتغلق كل شبابيك القبو المفتوحة، حتى لا يشتم هواءً أو ينظر خرمة ضوء.

(يخرجون الجنود ويبقى مع القائد)

مقشاع (كأنه يحدث نفسه): النواب قضيت عليهم، الواحد بعد الآخر، وقصصت جناح الأعيان فلا مال يخرج إلا وكثيراً منه يدخل في الخزنة، لكن الفلاحين القذرين الأكثر من فئرانٍ في زمن الموت الأصفر، كيف أروضهم.

القائد: بالسيف.

مقشاع: وكم أقتل. ألفاً، إذا قمت بذلك. من يبقى في الأرض ليخدمها؟ من يزرع؟ من يروي؟ من يحصد؟

القائد: قتل البعض يخيف البعض الآخر.

مقشاع: ضيقة هذه النظرة، كنت أراها في السابق صائبة، أما الآن فلا.. محتارٌ لا أعرف ماذا أفعل؟

القائد: نحرق كل بيوت القرويين.

مقشاع: وما الجدوى.

القائد: بعد الحرق الواسع نبني فوق الأنقاض بيوتا صالحة للسكن.

مقشاع: يعني ضغطاً آخر للميزانية.

القائد: لا يا مولاي. ستبقى الميزانية في حالتها الأولى، لن تلمسها كف، أدوات بناء الأكواخ نهيئها من باقي الأنقاض، فنحن سوف نساعد في إطفاء حريق الأكواخ من البدء، لكي تبقى صالحة أما العمال فهم أكثر مما يتصوره العقل هنا، لهم الوجبات اليومية لا أكثر.

مقشاع: والميزانية!!

القائد: سوف تزيد، فكلٌ يحلم أن يسكن في بيت أنظف، من يطلب بيتاً يامولاي عليه أن يدفع إيجاراً شهريا حتى آخر عمره، ولذلك نصطاد ولاء الفلاحين وأيضا نجبرهم للدفع الشهري، ونعطي البعض بيوتا حتى يزدادون كراهية لهم، وبهذا يا مولاي نحقق ما يعجز عنه السيف.

مقشاع: سأفكر فيها.

(تدخل عذارى مسرعة)

عذارى: أين أبو زيدان؟

مقشاع (مفاجئاً): عذارى، ماذا تبغين؟!

عذارى: أبو زيدان!!

مقشاع: وما شأنك به؟

(إلى القائد)

اذهب

(يخرج القائد)

مقشاع: ما دخلك بالفلاحين؟

عذارى: أبو زيدان.

مقشاع: إلى هذا الحد تحبين الفلاحين. أبو زيدان سجينٌ في القبو.

عذارى: سجين يا مقشاع. لماذا تسجنه؟

مقشاع: أسجن من حاول أن يتحرك ضدي، أو من فكر أو ينوي التفكير بإيقاف القانون عن التنفيذ.

عذارى: أبو زيدان بسيط، لا يعرف هذه الأشياء وليس له توق في الاستحواذ على شيءٍ غير محادثة الورد وتقليم الأزهار.

مقشاع: لماذ لم يخبرني عن بارباروس؟

عذارى: أبو زيدان صغير لم يعرف بارباروس، لماذا تحشره في شيء لا يبصره؟ أطلقه. أطلقه يا أعمى.

مقشاع: قولي أعمى ثانية.

عذارى: أطلقه يا عمي.

مقشاع: الآن سأطلقه، إكراما لعيون عذارى.

المشهد العاشر

القرية، صباحاً

مقشاع، القائد، الجنود.

الفلاحون مشغولون في أمورهم العادية.

العجوز: صمت قاتل. وهدوء لم أتعوده أبدا. لا أدري ما يحدث! هل مات الناس؟

الهرم: نعم.

العجوز: لا تسخر مني. لايمكن أن يهلك كل الناس. إلى أي مكان ذهبوا؟

الهرم: البعض تحوّل وحلا في التربة والبعض الآخر صار خيولا تحرث في البحر الواسع والبعض الثالث.

(يدخل في هذه الاثناء القائد وجنوده)

القائد: للأرض، وجوهكم للأرض.

الهرم: لماذا؟!

القائد: للأرض. فقط للأرض. ولا تنطق. لاتتكلم. اركـــع أنـــت وأنت وأنت.

(الجميع يركعون للأرض)

(يدخل مقشاع وخلفه مجموعة من الجنود)

القائد: هذه يا مولاي هي الساحة.

مقشاع: (وهو يترل من عربة العبيد) ما أوسخها!!

العجوز: من هذا؟

الهرم: لا أعرفه؟

القائد: مولانا مقشاع تعطف، جاء لكم بالبشرى.

العجوز: مقشاع!!

الهرم: لماذا يأتي لزيارتنا؟

العجوز: ليمتع نظرته بالحيوانات المملوءة في أحضان حظائره.

الهرم: ماذا يلبس؟

العجوز (ضاحكة بصوت عالٍ): كيف سأعرف بلبسه وأنا رأسي كالنعامة؟

القائد: صمتا.

مقشاع: الحاكم لا يعني شيئا من دون رعيته. ولذلك قررت زيارة كل قرى تايلوس واحدة بعد الأخرى، حتى أعرف ما يطلبه العامة

من فلاحين وغواصين وعمال قرانا. سوف أزيل الأكواخ وأجعلها مدناً خضراء تليق بساكنها.

القائد: يحيا مولانا مقشاع.

الجنود: يحيا مولانا مقشاع.

القائد (وهو يضرب بعض الفلاحين): حيوا

الفلاحون: يحيا مولانا مقشاع.

مقشاع: ولكن قبل إزالة هذه الأكواخ عليكم إخباري عن مخبأ بارباروس من يعرف شيئاً عن مخبأ باربـــاروس. ســـأعطيه المـــال وأسكنه في بيتٍ من طين وأجعله من حاشيتي.

القائد: من يعرف مخبأ بارباروس؟

(إلى الهرم)

أنت

(يتقدم منه ويضربه)

لماذ لا تتكلم؟

الهرم: هل تعنيني؟

القائد: أعنيك لماذا لا تتكلم؟

الهرم: هل يتكلم من ليس يرى؟

القائد: قل. هل تعرف مخبأ بارباروس؟

الهرم: لا.

القائد: هل تعرفه؟

الهرم: من!!

القائد: بارباروس.

الهرم: أسمع عنه.

القائد: (إلى العجوز)

وأنتِ

العجوز(وهي تقوم وتتقدم من القائد): أعرفه. أعرفه. فأنا ربيـــت بارباروس علي حضني.

القائد (فرحاً): ما أروعك يا امرأة الأرض، خذينا الآن إليه.

العجوز: إلى أين؟

القائد: إلى مخبئه الخاص.

العجوز: وأين يكون ؟

القائد: ألا تدرين.

العجوز: لماذا أدري؟ هل من يعرف بارباروس سيعرف مخبئه؟

القائد : يا شمطاء

العجوز: صحيح أنك تافه.

مقشاع: قبل مغادرتي هذه القرية أخبركم من يسمع أو ينظر أويعرف أي مكان يسكن فيه بارباروس عليه أن يخبرنا في الحال وإلا سوف يحال إلى السجن ويعتبر الساكت عن إيواء الخارج عن طاعتنا مثل القاتل، يحكم بالقتل. هيا.

(يدخل مقشاع إلى العربة، يحمله العبيد، ويخرجون)

العجوز: ما هذه اللعنة؟

الهرم: مكتوب فوق الماء بأن الحاكم حين يميت الناس ويحفر قبراً في الدنيا سوف يكون هو الأول في الدفن.



المشهد الحادي عشر

القصر. سماهيج. عذارى.

سماهيج: ما شأنك بالفلاحين. عذارى ابنة ميناماس أمير الموجة والساحل تطلب عفواً للفلاح أبي زيدان. صحيح أن التربية الملكية هدراً ضاعت فيك. أليس هناك قليل من خجل في وجهك؟

عذارى: بعض الأحيان تكون كرامتنا الإنسانية أصغر من أن نحملها. كرامتنا ضاعت حين أتى مقشاع ولم يبق هنا خجل كي نخجل منه.

سماهيج: بارباروس هو السبب الأول في كل مصائبنا. لو ألقاه، فقط، لقطعت يديه وعلقت مرارته في الساحات العامة حتى يعرف كل الفلاحين الحمقى عاقبة الكذب. لماذا تهوين الفلاح؟.

عذارى: لقد رباني كي أعرف أي دمار تحمله وتحذفه للدنيا بمشيئتها.

سماهيج: مقشاع هو الأقوى، هو من يحمينا من كل عذابات الدهر فلا ترتكبي الحمق، وبوسي الكف الممدودة لك يا جاهلة معني العيش ومعني الدنيا.

عذارى: الجهل جميل يا عارفةً كيف تظلين السيدة الأولى حتى في بيع ضمير مات من الذل.

سماهيج: دبيب الموت صغيرٌ قربك يا ابنة ميناماس.

عذارى: لأني أعرف كيف أعريّك وأسقط عن جسمك ثوب العفة. أعرف كيف أريك جوانحك المملوءة بالوحل. أريك الجثة في جوفك.

عذارى: قاسيةٌ أنتِ، بل أقسى امرأة وجدت في الدنيا، لا أعرف أيضاً، كيف حصاة مثلك حملت داخلها روحاً خضراء.

سماهيج: أريحيني منك، أريحيني.

عذارى: من أين ستأتيك الراحة؟ يا امرأة الموت الأصفر. لوثت الألوان، الأزهار، الأنغام وكل جميل أعرفه. خطواتك في القصر تعفّن كل هواء، بل كل فراغ. كيف تجرأت بقتلي؟ أين أخبئ وجهي من قومي؟ يا عُرة تايلوس.

سماهيج: أنت الموت يحاصرني. فدعيني أحيا مثل طيور الماء. أنا لا أطلب شيئا إلا بعدي عن وجهك.

عذارى: أبعد كي ترتاحي من الموت.

سماهيج: دعيني. أرجوك.

عذارى: لماذا تنتفضين أمامي مثل مراهقة شاهدها والدها وهـــي تداعب ابن الجيران. لماذا؟!

سماهيج: كابوس أنت. كابوس يرعبني.

عذارى: بل مرآة تكشف زيفك.

سماهيج: لست أريدك قربي. لست أريدك.

عذارى: من أخبرك أني راغبة في رؤية وجه يحمل كل قذارة هـــذا العالم. إني أكرهك إني أكرهك. أكرهك. أكرهكِ.



المشهد الثاني عشر

أبو زيدان. عذارى.

عذارى وهي تتحرك كاللبؤة في قفص، تواجهه وتصرخ في وجهه.

عذارى: أخرجني من هذه القلعة. من هذا السجن. أبوزيدان . أنا لا أقدر أن أتنفس لا أقدر أن أغفو، لا أقـــدر أن أفعـــل شـــيئا، أخرجني.

أبوزيدان: لكن.

عذارى: لكن ماذا؟ أنت الأقدر مني في الحركة. فأنا في القيد. يدي حجر. حراسٌ عند الباب وحراس خلف الشباك وحراس في الرأس. ألا تشعر أي جحيم أحياه وأي دمار أسكن فيـــه؟ ألا تـــشعر أي الموت يحاصرني ويأكلني؟!.

أبزيدان: أشعر، لكن اللحظة لم تأت.

عذارى: ومتى تأتي!! اللحظة كالموجة إن سارت لا أحد يمسكها. قد تكسر من صادفها أو من سوف يصادفها، قد تتكسر في وجــه سفين يقتحم الأمواج وقد تتكسر بالصخرة في الـــساحل، لكـــن الموجة لا ترجع واللحظة لا ترجع. وأنا كالموج أبا زيـــدان. فـــلا تتركني أتحطم بين سواد الجدران وأعمدة الحزن.

أبوزيدان: علينا أن نعرف كيف نقاوم يأساً في داخلنا قبل مقاومة الآخر. مقشاع يحاول أن يكسرنا بالوقت ويجعلنا نيأس. ثم يروضنا الواحد بعد الآخر.

عذارى: ملعونٌ مقشاع ، وملعون هذا الوقت، أبوزيـــدان. أبي في البحر بعيد عنا. لو مات وعاش كما الميت فالأمر سيان ولا أحـــد غيرك بعد أبي. أخرجني من هذه اللعنة. أو أني سأموت وأنهار قبيل الموت. أبوزيدان. أبوس يديك أخرجني. أخرجني.

المشهد الثالث عشر

القصر، مقشاع، القائد، الحاشية، مجموعة من الأعيان.

القائد: انظر يا مولاي إلى ألسنة النار تزيل بقايا العصر الفائت.

مقشاع: (منتشياً) ما أروع هذه النيران الخضراء وما أجملها!! أشعر في هذه اللحظة أني أحرق تايلوس الماضي، لن أترك كوخاً يهنأ فيه العبد بلا أجر. لن أترك أرضا يرتاح بها الفلاح ويزرعها حسب هواه وحسب قوانين الجاهل ميناماس. أنا لا أتصور أن هناك جمالا أروع من هذا الحرق الواسع. اسمعْ صرخات الأطفال، عويل النسوة، غمغمة الفلاحين، موسيقى لم يعرفها كهان المعبد ما مرت في بال زغاريد الأعراس. مزيد من حرق الأكواخ، مزيد من أنهاء زمان الرجل الشائخ. ما أجمل عزف الجمرة. ما أجمل عزف الجمرة. ها.ها.ها.



المشهد الرابع عشر

القصر، سترة، عذارى، أبوزيدان، الوقت ليل.

أبو زيدان: النيران ستلتهم القرية قبل الغبشة.

عذارى: إن لم تلتهم التايلوسيين جميعاً.

سترة (بصوت منخفض): هيا يا مولاتي. أسرع يا ابن القرية.

(يخرجون أبوزيدان بحذر. تتبعه عذارى المتنكرة بثياب الخدم).

سترة: لا أحد..لا

(ترى الحارس يتقدم.. تشير لهما بالاختباء)

الحارس: سترة!! ماذا أيقظك.؟

سترة (تتثاءب): من أنت؟!

الحارس: أنا الحارس.

سترة: ماذا تفعل في هذا الوقت من الليل؟ لماذا لا تحرس؟

الحارس: أمرني مولاي بأن أحرس غرفة مولاتي.

سترة (تتثاءب): لا أدري ماذا أيقظني . بعض الأحيان أسير علـــي أقدامي، أمشي وأنا نائمة.

الحارس (وهو يضحك): وأخي أيضا.

سترة (غاضبة): الزم حدك يا حارس.

الحارس (مفاجئا من هذا التغيير): ماذا؟

سترة: أتكلمني!! ابتعد عن هذا الباب وإلا قلت لمولاي الحـــاكم أنك تنظر من فتحته للداخل.

الحارس: لكن..

سترة: قم بحراسة ذاك الشباك الأبيض. فاللص إذا جاء القلعة لـــن يدخل من هذا الباب الجواني المغلق. بل من ذاك الشباك المفتوح.

الحارس: فهمت.

(وهو يتجه إلى الشباك بعيدا عن سترة)

سترة (بصوت منخفض): هيا...

(يخرج أبوزيدان تتبعه عذارى)

العربات وراء السور.

عذارى (وهي تخلع عن سترة طرحتها): أعطيني هذه أيضاً.

سترة: (ضاحكة) أرجو أن تنفعك الطرحة.

(أبوزيدان وعذارى يخرجان، سترة تنظر اليهما، بعد قليـــل يأتي الحارس خائفاً)

الحارس: سيدتي سترة.

سترة: من؟

(تلتفت إليه ثانية): ماذا تبغي؟

الحارس: كنت أراك بلا طرحة . قلت.

(وهو يقترب منها ويهمس)

سترة (تصفعه): اخرس يا كلب.

الحارس: قصدي.

(يضع يده مكان الصفعة ويبتعد)

سترة (تغمغم): وأنا في هذا العمر.

(تدخل سترة نسمع صوتها في الخارج)

لقد فسد العالم.

المشهد الخامس عشر

خلاء، مساء، بارباروس وحيد قلق.

الفلاح ١: ما بك يا سيدنا بارباروس.

بارباروس: أبو زيدان تأخر.

الفلاح١: الغائب يلبس حجته، فمتى ما جاء سنعرفها، لا تقلق.

بارباروس: الوقت تأخر، أخشى لو داهمه العسكر.

الفلاح ٢: لا تقلق يا سيدنا فمواعيد أبي زيدان كما نعرفها من قبل، تماما مثل مواعيد المد، وما من عادات المد سوى أن يأتي في موعده المحدود.

بارباروس: عذارى معه وأخاف عليها من مقشاع، إذا سقطت بين يديه فلن يرحمها.

الفلاح ١: عذارى تأتي ياناس.

الفلاح ٢: سنبدأ بالزحف.

بارباروس: عذارى ليست غير البدء. إذا جاءت نقدر أن نجمع كل قرانا بين يديها، الفلاحون الأعيان، الصيادون وكل عبيد جزيرة

تايلوس، حين تجيء عذارى سوف يكونون برهن إشارتها، ولهـــذا فأنا قلق كالحبلي قبل أوان الطلق.

الفلاح١ : أقلقت مساماتي.

الفلاح ٢: وأنا أيضا.

بارباروس: لتكونوا قلقين فمن يحيا في الأرض بلا قلق لا يمكن أن يبنيها ويعمرها ويعيد إليه البهجة. القلق الفاعل غير القلق المفعول. لهذا كونوا قلقين، بلا قلق ليس هناك وجود للإنسان.

المشهد السادس عشر

القصر، باب غرفة عذارى، من الشباك رجلان يصعدان ويفتح أحدهما الشباك ويقتل الحارس.

سترة(في الخارج): ابن الكلب.

الحارس (في الخارج): آخ.

(يخرج الحارس من باب غرفة عذارى وهو ملطخ الوجـــه بالدم ويمسك أحد عينيه. وخلفه سترة تضربه بالعـــصا. الـــرجلان الملثمان يمسكان الرجل ويضربانه).

سترة: من أنتم؟

(في هذ اللحظة يصعد سينياباس ووديان ومجموعة من الرجال).

سترة: من أنتم؟

سينياباس (وهو ينظر إليها بغضب): صه يا خرتيتة. هل هذه هـــي غرفة مقشاع.

سترة (خائفة): لا.

(تشير إلى الغرفة الأخرى)

هذه غرفته

سينياباس: من يسكن هذه الغرفة يا أنت؟

سترة: عذارى.

واديان: ابنه ميناماس

سينياباس (يتجه إلى باب غرفة مقشاع): اخرج يا مقشاع.. اخرج وإلا حطمت عليك الباب.

(مقشاع يخرج مذعورا بثياب النوم وخلفه سماهيج)

مقشاع (مازال في النوم):ما هذه الضجة يا أوغاد.

(يرى سينياباس)

من؟

سينياباس: سينياباس.

مقشاع (مفاجئا): سينياباس!!

سينياباس: لم تدعُنا لزواجك. قلنا نأتي لنبارك هذه الزيجة.

مقشاع (مرتبكا): لم نتزوج حتى الآن.

سينياباس (ساخرا):هذا يعني أن النوم معا ليس سوى بعض التدريبات.

(أصحاب سينياباس يضحكون)

سماهيج: لماذا جئت إلى تايلوس؟

سينياباس: لأرى أجمل أمرأة وصلت شهرتها الآفاق. جمالــك يــا زوجة ميناماس له القدرة في أن يجبر حتى الجدران بخلع حجارتها لا خلع الأخ أخيه فقط.

سماهيج: لم تخبرني حتى الآن لماذا جئتم؟

سينياباس: أخبرها يا مقشاع لماذا جئنا.

مقشاع: أنا لا أدري.

سينياباس: طبعاً. في هذا الدفء الليلي.

سماهيج: سأمشي عنكم.

سينياباس: ابق بمكانك. حتى تكتشفي مدى الكذب.

مقشاع: أنا لم أكذب.

سينياباس: أكثر من هذه الأكذوبة . قلت بأنك سوف تكون كما نبغي، لكن لم ترسل إشعاراً ولا رسولاً يخبرنا عما تنوى أن تفعله. فأخذت الحكم و لم ترسل أي كتاب. قتلت الناس وما كنا نبغي أن تهدر قطرة دم. أنسيت الوعد!! طلبت من المرجان مساعدة.

مقشاع: لم آخذها.

سينياباس: حين وجدت سرير الحكم مريحاً (يـــشير إلى سمـــاهيج) طريا كالماء بلا تعب يؤلم رأسك أو خوف يخلع قلبك بالوسواس، تناسيت وعودك. من أي الطين تكونت!! ومن أي صلصال؟!

مقشاع: سأعطيك المال وأعطيك اللؤلؤ والمرجان، فقط دعني أحيا بسلام.

سينياباس: فقدت الرغبة في هذه الأشياء.

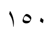
سماهيج: ماذا تقصد؟

مقشاع: ماذا تطلب؟

سينياباس: تايلوس.

الجزء الثالث

الدم



الشخصيات

عذارى

أبوزيدان

سترة

سماهيج

سينياباس

واديان

القائد

بارباروس

المشهد الأول

القرية، صباحاً، عذارى، أبوزيدان، بارباروس، مجموعة من الفلاحين والفلاحات، عذارى في الوسط.

إمرأة: قد تخدعنا.

فلاح ٣: أمثالك كثر في هذا العالم.

بارباروس: الوقت يمر. عذارى تركت مائدة الراحة في القصر وجاءت لتقاسمنا اللقمة.

امرأة: ولماذا تطلب منا تصديقك يا بارباروس وعودك لم تعط العبد سوى قيد آخر. أكواخ الفلاحين رمادٌ وبقايا أنقاض لا تصلح حتى للطبخ. صيادو البحر بلا سفن ومجاديف. أليس العيش بظل القيد وأغلال التربة أكثر أمناً وسلاماً من وعدٍ لن يتحقق. يكفي يا بارباروس وعوداً. يكفي يا بارباروس. عذارى ليست أكثر من والدها ميناماس.

عذارى: يا أبناء القرية. لا أتكلم عني، عما كنت به، فأنا الآن أنام علي نفس الليف وآكل من نفس الأعشاب. ولا أتكلم عن ميناماس. فلا طير يعرف أي مكان قذفته الأمواج، أحبائي أتكلم عن تايلوس. تايلوس حلمت بالشورى، لكن مقشاع الطاغي كسر الحلم وأحرق أنفاس الناس، فلم يهنأ عشب بالماء، ولم يفرح ماءٌ بالتربة. مقشاع مضى، لكن سينياباس أتى كي يبقى فوق جزيرة تايلوس.

أبوزيدان: لا أحد يقدر أن يغمض عينيه ونار الظلم تدور على الساحات وتقتلنا الواحد بعد الآخر. سينياباس الغازي لم يأت لكي يجلس في القصر، ولكن كي ينهب تايلوس وإذا نقص الخبز ولم يتوفر في فترة مقشاع، فلن ينظر حتى بالعين إذا ظل المحتل.

بارباروس: يا أبناء القرية والساحل! من يرضى منكم أن تُسرق منه أحلام طفولته؟ من يرضى منكم أن تؤخذ بالقوة ألعاب صباه إلى أمكنة أخرى؟ يا أبناء الساحل والقرية! إن القطة لا ترضى أن يأخذ منها أحد أطفالاً ولدهم، فلماذا يرضى البعض بملازمة الصمت إذا كان يرى تربته تُحتلُ وضحكته تغزي وملاعبه تتناثر مثل الرملة في الجو العاصف. لا بد لنا أن نتصدي للموت.

فلاح ٣: بماذا؟

فلاحة (ساخرة): بالأعشاب وسعف النخل.

فلاح ٣: ممنوع أن نحمل سكيناً. ممنوع أن نحمل سهماً أو قوساً أو رمحاً. ممنوع أن نتعلم ألعاب الركض وألعاب القوة. ممنوعون من العوم بعيداً عن شط البحر، بماذا سوف ندافع عن تربتنا؟

بارباروس: ليس السيف وليس الخنجر ما نحلم أن يجمعنا في هذه اللحظة، بل أنتم. الإنسان.. فهذه ليست إلا أدوات نقدر أن نصنعها، لكن الإنسان القادر أن يقف الآن كما تقف الضفة والضفة كي يعبر ماء النهر، كما تقف النخلةُ وقتَ الريح، هو الإنسان.

فلاح ٣: سنُقتل.

عذارى: وهل أنتم أحياءٌ في هذه اللحظة؟ لا نملك ما نخسره غير قيود الذل وسيطرة المرجان ولا أتصور أرضا يحميها الأبناء، كما تحمي الأشواك زهورً الورد ستتعبُ من إبداع زهور أخرى.

فلاح: تعبنا من وعد الحاكم.

بارباروس: لم يأت الحكامُ من المريخ ولا الزهرةُ بل جاءو منّا، من هذه الأرض، لهذا من أجل طهارتها، من أجلَ إعادة ميزان الحق إلى جهة الحق علينا أن نتشاور.

فلاح ٢: في ماذا؟!

بارباروس: في إبقاء سلالة ميناماس، عذارى الآن هي الحاكم.

عذارى: ليس مهماً عندي أن أحكم أو أخرج من هذا الحكم كما يخرج غصن من قلب النخل، مُهمٌ عندي أن نصبح في قوة هــذه الجزر الصخرية، هذه الممتدة من أول جدٍ حتى آخر شريان فينا. يا أبناء الخضراء إذا كان أبي أعطاكم شورى الرأي فأنـا أعطـيكم شورى من تختارون.

أبوزيدان: لسنا في وضع نختار به. العملُ الآن محاربة الغازي.

امرأة: من يطعم أبنائي.

عذارى: نكسر قرص الخبز إلى اثنين وإن لم نقدر نقسمه أربعـة. نقتسم المسكنَ والملبس ونقتسم الفرحة والحزن.

بارباروس: لتايلوس سوف نعيش.

عذارى: لتايلوس سوف نعيش..

المشهد الثاني

القصر، سينياباس، واديـــان، مجموعـــة مـــن الجمـــود والحراس..

سينياباس: قتلوا عشرة حراس في الساحل، اثنان على الهضبة! ماذا يعني هذا يا واديان؟

واديان: الظاهر أنا أخطأنا يا مولاي.

سينياباس: في ماذا؟

واديان: كنا نتصور أن التايلوسيين يخافون من الحرب، لـــذلك لم نُعط لهم حجماً، ركزنا على سحق فلول عساكر مقشاع وزمرتـــه ونسينا أمر البحارة والفلاحين.

سينياباس: البحار! الفلاحين!

واديان: نعم يا مولاي. هناك مقاومة نظمها البحارة والفلاحـــون وما قتلانا غير بدايات تحركهم.

سينياباس: هل وصل الأمر بديدان الأرض مقاومة السادة؟ مسألة مبهمة! تحت الأرض مياه تتهيأ للفيضان، علينا أن نعرفَ مصدرها.

واديان: البعض يقول بأن وراء تحركهم بارباروس العائم كالقطرة في بحر يعرفهُ كالحرف وأكثر ظنّي أن الثقل الأكبر في هذا هو شخصية بارباروس غير المفهومة.

سينياباس: كنائب حاكم هذه الأرض؟

واديان: كقوةِ إقناع . ولا تنسى يا مولاي بأن البارباروس حكيمٌ معروف بين الناس وكلمتهُ أمرٌ، وتحركه مشروعٌ بين الفلاحين وباقي الأجراء .

سينياباس: ولكن كيف؟ هناك غموض لم يتوضح لي وهو الشرعية. مقشاع أطاح بقانون الشورى، شرد نواب الفلاحين ونواب البحارة، ضارب بين الأعيان. بمعنى آخر فُقدان الصفة الشرعية. من أين لبارباروس القدرُة في تنظيم مقاومةٍ وهو بلا سندٍ يحميه؟

(صمت) (ثم بصورة مفاجئة)

أحضر لي الملكة.

واديان: الملكة!

الحارس: حاضر يا مولاي.

سينياباس: في ظنّي أن سماهيج هي الثقل الآن. قوانين التايلوسيين كما أحفظها هي حكمُ الزوجة بعد رحيل الزوج إذا مات، خصوصا حين يكون الحاكم لم يرث الحكم إلى أحد من أبنائه، ولكي يقنع بارباروس الأجراء الحمقى بمقاومتي لابدُ وأن فكر في الشرعية عبر الملكة.

(سماهيج تدخل)

سينياباس: أهلاً..

سماهيج: مقشاع ومات، فماذا تطلب أكثر؟

سينياباس: هل يؤلمك ذلك؟

سماهيج: الأمرُ سيان، فما من مثلي تبكي مقشاع المقتول ولا ميناماس الغائب. فالماضي يمضي وأنا يا سينياباس أفكر في نفسي، لا غيري.

سينياباس: هذا ما كنت أريد. فقولي لي أين مكان النائب بارباروس؟

سماهيج: لا أدري.

واديان: لا أتصورّ أنت الملكة.

سماهيج: كنت الملكة.

سينياباس: أحدٌ لم يخلع هذا المنصب. مقشاع أرادَكِ أن تبقين كما أنتِ والحاكم يفرض من يبغي، أين نرى بارباروس؟

سماهيج: دَعني يا سينياباس. أما يكفي هذا السجن؟ أما يكفي؟

سينياباس: لم يسجنك أحدٌ. في غُرفتكِ جالسةٌ، خـــدمٌ حولـــكِ، حشمٌ يأتمرون بأمركِ.

سماهيج: دَعني أخرجُ من هذا القصر الملعون.

سينياباس: كما تبغين. كما تبغين. ولكن قولي أين أري بارباروس.

سماهيج: وكيف سأعرف؟ جيشك يمتدُ على الأرض من المـــاء إلى الماء، وتسأل مسجوناً لا ينظرُ ضوء الشمس ولا يتنسم غيرَ رطوبة غرفته عن بارباروس. لماذا تسجنني ولماذا تبعد عني ابنة قلبي؟ اجمعني بعذارى يا سينياباس.

سينياباس: عذارى! أين عذارى؟ كيف نسيت؟

سماهيج: ما ذنبُ عذارى تسجنها؟ لم تتعود هذه المسكينةُ أن تحيا في عالم رعب لم يخُلق إلا للدهماء.

سينياباس: عذارى مفتاح اللغز. عذارى شرعية بارباروس وقوتـــه غير المكشوفة للناس.

(إلى واديان)

سريعاً يا واديان سريعاً أحضرها لي.

واديان: لكني لا أعرف أين هي الآن.

سماهيج: أليست في سجن القلعة؟

واديان: لم يسجنها أحد، بل لم نعرفها.

سينياباس: هربت. جَهزْ كُلَّ جنودك في الحال وفتش كُل مكان.. لا تترك زاويةً أو كهفاً أو كوخاً. لا تأتي من دون عذارى.

واديان: حاضر يا مولاي.

سماهيج: عذارى. أين عذارى يا سينياباس؟ أريد عذارى.

سينياباس: شكراً يا زوجة ميناماس لقد أعطيتني ما أبحث عنه من أيام.

سماهيج: أريدُ عذارى...



المشهد الثالث

خلاء، عذارى تتمشى، أبوزيدان يجلس مفكراً، مجموعة الفلاحين والعبيد تدخل وتخرج.

عذارى: ما هذا الصمت أبوزيدان! تعودت كلامكَ لكني لم أتعود صمتَك، أشعرُ أنك تحمل في جوفِك بركاناً يتحرك، شاركني فيه.

أبو زيدان: لا شيء.

عذارى: بل أشياء. ارفع رأسك. واجهني بعيونك حتى أقرأها. وجهُك عاد إلى أول يوم شاهدتك فيه، فقل لي مابك.

أبو زيدان: لا شيء. عذارى لا شيء سوى..

عذارى: ماذا؟ قل لا تخجل، من حق البحر إذا فاض مصارحة الساحل.

أبو زيدان: الخوف!

عذارى: أبو زيدان يخاف؟

أبو زيدان :أبو زيدان كباقي الناس. إذا كان له أني يعرف بعضا مما يحدث في هذا اليوم فليس له أن يعرف ما يحمله المستقبل. إن العتمة في كلُ الأشياء. شروق الشمس بكاء جاف يرسلهُ طفل كوني فقد الرؤية في الطرقات وما عاد يرى خطوته، وغروب الشمس دمـــاءٌ تعلن عن موتٍ شبحيٍ لا نعرف من أي مكان يدخلنا. أشـــعر أني أجهل نفسي، أجهل ما حولي أجهل ما أبغي من هذا العمر.

عذارى: أبو زيدان. صحيحٌ أن الواحد لا يعرف كيـــف يتـــرجم داخلهُ المزحومَ فصولاً تتغيرُ في اليوم رباعا، لكن لا يعني هـــذا أن يضع الكفّ على الخد، كما الثاكل ينتظرُ القـــادمَ في الغيـــب ولا يتحرك. من لا يتحرك لا يمكن حتى أن يقتات.

أبو زيدان: تَعبتُ فلا أفقٌ يفتح لي نافذةً لأطلّ على ما لا أنظره، لا باب في الروح يُعرفُني كيف أسيرُ إلى أحلامي، لا شيء يبـــهجني أويُدهشني.

عذارى: الحلم حيادي مثل قواني الدنيا. إن لم تعرف كيف تقـــود خطاهُ إلى ما تبغي، لا جدوي منه، القوةُ ليست في الحُلمِ ولكن في الإنسان، محققٌ هذا الحلم وبانيه للإنسانية في طولِ وعرضِ تـــراب الأرض، أبو زيدان لنا أن نفرحَ كالعصفور، لأن لدينا ما لا يملكهُ سينياباس ولا غيره.

أبو زيدان: ما هو؟

عذارى: الحُبُ. لدينا الحبُ. فمن يحمل هذا الحب يظـــل قويـــا ويدافعُ عنه، سينياباس، عساكره، دولته مالهم القدرُ في الحب، فمن يملك هذا الحب كما نملك لا يخشى شيئا.

أبو زيدان: روحي ليست إلاجسراً لسواي، وخوفي لـــيس علـــى نفسي الممنوحة كالغيث إلى ما لا أعرف من أرض أو بحر وسمـــاء ولكن الخوفَ عليك، فأنت الماءُ إذا ذهب الماء، فمن يبقى يحمـــي تايلوس وأراضيها من قحطِ المجهول؟

عذارى: أنا لا أعرف كيف أقول. لماذا الكل يخاف عليّ؟ لماذا لا أترك أن أحيا مثل البحارة، مثل الصيادين ومثـــل عبيـــد الأرض. أعيش كما عاشوا وأموت كما ماتوا أو سوف يموتون. أريد لاسمي أن يحمل اسم عذارى لا ابنة ميناماس، لقد تعبت روحي من ربطي بالآخر بالمُلك وبالعرش لماذا لا تفهم هذا الشيء؟

أبوزيدان: أفهمه وأراه أمامي الآن كشمس تخرج مـــن خيمتـــها، لكن عذارى ليست من نفس سلالتنا نحن الطينيون، عذارى ابنـــة ميناماس وميناماس سليل الآلهة الفوقيين وما عادت شخصاً عادياً، بل رمزاً.

عذارى: أكره هذا الأمر.

أبو زيدان: بدون الرمز عذارى لن نتمكن من إرجـــاع حقـــوق التايلوسيين المحتاجين إلى الخبز، إلى المسكن إلى العيش كما يحلم أن يلقان الإنسان.

(يأتي فلاح مرتبك، يتلعثم وهو يكلمهما)

فلاح ١: أبو زيدان.

أبو زيدان: نعم.

فلاح ١: أشعر بالإحباط تعبت من التدريب، تعبت من البعد عن الأهل كالمد تعبت من الجلسة عند البحر، تعبت.

أبو زيدان: وماذا تبغي منا؟

فلاح ١: العودة. للبيت. لرؤية أطفالي.

أبو زيدان: لكن..

عذارى: هل يمنع من رؤية زوجته والأطفال؟!

أبو زيدان: أخاف من الغيلة.

عذارى: تقدر أن تذهب.

أبو زيدان (بعد صمت): لكن ليكن في علمك ألا تهمس أو حتى تتكلم في النوم، ولا تخبر أحدا حتى زوجتك عن مخبئنا.

فلاح ١: (فرحاً) هل يعقل ذلك. رأسي قبل وصول عساكر سينياباس إلينا.

أبو زيدان: لك أن تذهب.

فلاح ١: شكرا يا مولاتي. شكرا (يخرج).

عذارى: ثقةٌ ما عندك بالناس. وهذا لن يخلق جنداً أحراراً كالماء يليقون بتايلوس.

أبو زيدان: الملدوغ من الأفعى يخشى حركات الحبل.

المشهد الرابع

القصر، سينياباس، واديان.

واديان: لم نتوغل أكثر من هذا يا مولاي.

سينياباس: لماذا؟

واديان: الحراس يخافون الموتى.

سينياباس: ماذا؟

واديان: لم يقتربوا منها. البعض رأى أشباحا تتـــهادى في الليـــل، وتخرج أصواتاً تشبه أصوات الثيران، وآخر شاهد عظمـــاً يمـــشي والثالث.

سينياباس: يكفي يا واديان هراء. ليس لحراس المرجان وسينياباس مخافة أجداث التايلوسيين، نزيح حصون الأرض ونعجز عن هـــدم الأجداث!! الأحياء إلى جوف الموت ويوقفنا الموتى عـــن تحقيـــق

أمانينا، دع عنك الخوف واخرج عن كهونتك يا واديان. أريد عيون الأسماك.

واديان: لكن الأجداث ...!!

سينياباس: لتهدم في الحال.

واديان: مولاي الغالي لا أحدٌ يعرف من أين سيبدأ بالهدم. صخور صماء بلا باب أو نافذة أو فجوات وكثبان عالية.

سينياباس: فلتحفر حتى القاع.

واديان: حفرنا يا مولاي، ولكن ما أن نحفر ناحية حتى نصل الصخرة. نحفر من جهة أخرى فنعود إلى بدايتنا. أجداث لا أعرف كيف سأفتحها. قالوا إن كنوز التايلوسيين من الجد الأول حتى ميناماس بها.

سينياباس: حاول ثانية. لا يعقل أن نمشي فوق الكنز ولا نلمسه بأيادينا.

(مغيرا الموضوع) أين عذارى؟

واديان: مازلنا نبحث عن رائحة الكلبة. عذبنا أغلب فلاحي تايلوس، لكن لم نتوصل حتى الآن لا شيء مجدٍ ولكن أشعر أنا في الدرب إليها.

سينياباس: أكرهُ تأخيرَ الموضوع إلى أكثر من هذا.

واديان: وأنا أيضا يا مولاي.

المشهد الخامس

القرية. عذارى حاسرة الرأس، معها أبو زيدان ومجموعة من القرويين والبحارة، والعبيد.

عذارى: قولوا لي هل تثبتُ أشجارٌ دون تراب! هل تتكون أنهارٌ دون ضفاف؟ هل يولدُ أحدٌ من غير الأم. تايلوس التربة. تايلوس النخلة. تايلوس اللؤلؤة الخضراء الممتدة بين كلام الأزرق والساحل، كيف لنا أن نحميها؟ الرجل، الطفلُ الشيخ، العبد، الفلاح، البحار، المرأة، كيف سنحميهم من غول بلاد المرجان؟

أبو زيدان: يا إخواني.

فلاح ٥: اسكت أنت.

أبو زيدان: لماذا أسكت يا ابن الناس؟

فلاح ٥: لأنك بعت القرية للقصر.

أبو زيدان: أبيع. وكيف؟ أنا ما كنت التاجر أشري وأبيع وما كنت الطامع في صيت كي أتملق أصحاب السلطان، أنا ابن الفلاحين أعيشُ كعيشتهم، وإذا ساعدني الحظُ وجائتني الفرصة في أن أتعرف مثل العشبة والماء على سيدة القصر عذارى، هذه المجنونة حباً في تربة تايلوس. لا يعني أني منفصلٌ عن طينة أهلي وترابة أترابي. ها أنذا في الساحة لا أملك غير الصدر المفتوح لريح التغيير.

إمرأة: لأنك مرصود للقتل.

أبو زيدان: من منا لا يرصُدهُ القتلُ! إذا كنتُ المرصود لسيف الجلادين فأنتمُ مرصودون لسيف الجوع، إذا كنتُ المرصودُ لنارِ الحرق، فأنتم مرصودون إلى الموت عراةٌ في البرد، إذا كنت المرصودَ لغيلة عين من أعين سينياباس، فغيري مرصودٌ ومعه الأطفال لغيلة قحطٍ ليس له آخر.

عذارى: لا أحد منا يطلب قصراً أو عرشاً. نطلب أن نبقى أسياداً فوق جزيرتنا. نطلب أن يتوقف سيلُ الدم وطابورُ القتلى. نطلب أن نفرح أن نرقص في الشط كما كنا. وأنا بينكم الآن بلا حول ولا قوة إلا بالناس، ولا أملك ما أعطيه لتايلوس غير شبابي.

أصوات (متداخلة): كاذبةٌ. جيد. كاذبٌ.

عذارى: الحاكم مهما عَمر في الأرض سيرحل عنها، لكن الأرض إذا راحت من يسترجعها. الزوجةُ قد تستبدلُ زوجاً، والطفلة قد تتبناها أمُ أخرى، لكن الأرض مكانُ ولادتنا، ضحكُ طفولتنا، لحمُ ملاعبنا وصبانا، هل نتركها للأغراب يدوسون عليها! هل أحدٌ يرضى أن يترك ممن ولدته تحت الأقدام! الإنسان بلا أرض ليس سوى ورق تنثره الريح، فلا تعطوا الريح مجالاً لتبعثركم في أقطار الدنيا، جوعى، مرضى، غرباء بلا ذاكرة أو حلم. لا تعطوا سينياباس مجالاً لتزيف الدم على أرض تكره اسمَ الدم، أخاف عليكم وعلى لؤلؤة الدنيا تايلوس من أصوات البوم ومرثية الغربان وأنياب العقبان ولسعات العقرب والأفعى.

(في هذه الأثناء يقتحم الجنود الساحة. نرى معهم الفلاح ٣ . عذارى تواصل حديثها تحت عصي الجنود).

عذارى: لاتقفوا مكتوفي الأيدي، للأرض ضريبتها، من عاش بلا أرض عاش بلا معنى، من عاش بلا معنى لا يقدر أن يحمل أسم الانسان.

أبو زيدان: أعطوا الحب إلى تايلوس.

القائد: اخرس يا ابن الكلبة. ثم (إلى عذارى) هيا يا كلبة.

أبو زيدان (تحت الضرب): اضربْ. من يعشق أرضا يُضرب، من يعشق وطنا. (يخر على أرض وهو يردد).

تايلوس تايلوس تايلوس.

عذارى (وهي تجر إلى الخارج): الأرض لمن يحفرها. الأرض لمـــن يحرثها. الأرض لمن يزرعها بمشيئته.

القائد: هيا يا حيوانات.

أصوات (متداخلة): اتركها. اتركها.

(يبدأ الجنود بضرب الأهالي من كل الجهات).

عذارى (وهي تُجرُ من شعرها): الأرض لنا، الأرض لنـــا، الأرض لنا.

المشهد السادس

عذارى – سماهيج – ليل

عذارى: من أرسلك؟ طبعا سينيباس ..

سماهيج: بماذا أقسم قولي لي.

"بأنانا" أو "داموزي". أو بجميع الآلهة المعروفة في تـــايلوس أوآشور.. عذارى جئـــت إليـــك ويـــدفعني حـــبي. حـــب الأم سماهيج..عذارى.

عذارى: كاذبةٌ.. ما أقبحها الأم إذا كذبت..

سماهيج: كوني عاقلةً.

عذارى: ضاع العقل كما ضاعت ذاكرتي حين رأيت الأم تخطـــط في إبعاد الأب لتبقي في أحضان العم.

سماهيج: هراء هذا. أعني.. منذ متى؟

عذارى: لا شيء يخفى.. فإذا كانت أفواه جواري القصر مكممةً بالتهديد وتوزيع الترغيب بمال وهدايا، فعيوني ليست نائمةً.. مرات

وأكذبها.. مراتٌ مرت مثل السم يدور علـــى أبـــواب شـــراييني، يسممها شرياناً.. شرياناً.

سماهيج: لا يعقل هذا. لست أنا..

عذارى (ساخرة): بل مرآتك (لحظة صمت).

الآن عليك مغادرتي حتى أغفو فلقد عشت ليالي ما ذقت بها طعم النوم.

سماهيج: تنامين؟! أيُعقل هذا!! سوف تموتين من التعذيب فقولي لي عن مخبأ باربا روس.

عذارى: وصلنا ما نبغيه أخيراً. بارباروس. ها. ها. أتظنين الأمـــر بسيطاً يا كلبة سينياباس.. عجيب أمرك، يوماً عند أبي والآخر في أحضان التافه مقشاع وفي اليوم الثالث جارية يتمتع بها سينياباس!. بعيداً عني يا امرأة الموت. دعيني أغفو كي لا أحلم بالكابوس..

سماهيج: أخاف عليك الموت كما الجيفة في تايلوس.

عذارى: هذا أشرف لي من وجهٍ أتقزز من رؤيته.

سماهيج: مخبأ بارباروس..

عذارى (صارخة): يا حارس.. أبعد هذه الكلبة. عني.

المشهد السابع

القصر سينياباس

مجموعة من الجنود والحراس، يدخل القائد وهو يجُر عذارى وأبو زيدان، سترة في زاوية ما، عذارى تتملص من أيدي الحـــراس وتذهب إليها.

عذارى: سترة!! ماذا فعل الأوغاد بك.

سينياباس (متذمراً): ما هذه اللهجة يا بنت.

عذارى: أتعذب امرأة في هذا السن.

سترة (بوهن): عفواً مولاتي. أرغمت على القول وما كان أمـــامي إلا.. (تبكي).

عذارى: لا بأس عليك. لا بأس..

سينياباس (يتأمل عذارى): لم أتوقع أن ألقي فارسة مثلك.

عذارى: لست بفارسةٍ يا سينياباس.

سينياباس: وتديرين عصابات ضدي؟

أبو زيدان: لسنا من تقصد يا سينياباس.

واديان: أصمت وتحدث بلباقة نطقٍ إن وجه هذا القولُ إليك.

عذارى: هل غزو جزيرتنا الخضراء لباقة؟ هل قتل النـــاس علـــى الساحات العامة يا سينياباس لباقة؟

سينياباس: لا أتوقع إنساناً يملك ذرة عقل يترك تاجاً وبلاداً يلعب فيها مقشاع، لذا كان من الأجدى أن أترك من يتقن هذا اللعـــب ليأخذه، وأنا كنت اللاعب.

(في هذه الأثناء تدخل سماهيج متزينة، تلتقي عيون عذارى بعيون سماهيج كأنهما قطتان).

حين تعم الفوضى في بيت الجار علينا يا ابنة ميناماس إعادة ترتيب البيت وإلا سنفاجأ بالفوضي تملأ كل الأنحاء.

عذارى: ومن صوّر لك ذلك...

سينياباس: كُل الأشياء.. كل الملموسات. تهورّ والدك الطائش في إعطاء الفلاحين، البحارة، أبناء الأكواخ حقوقاً بمشاركة الحـــاكم في الرأي وسمى خطوته.. (يتوقف) ماذا سماها يا واديان.؟

واديان: الشورى!!

سينياباس: الشورى!! ما إن اسمع هذه الكلمة إلا وشعرت بزحف القملِ على عنقي. فأبوك الطائش ساعد في إعطاء الفرصة للجيفـــة مقشاع، لأن يصبح سيد تايلوس.

عذارى: من قال الشورى طيشاً؟!

سماهيج (متدخلة): كُل الطيش. فكم أعطانا مولاي أمير المرجـــان هبات، أموالاً وقصوراً حتى يبقى ماء جزيرتنا الخـــضراء نقيـــاً، لا يتلوث بوجود الفلاحين ولا يفسد من فعل عبيد الدنيا. مينامـــاس، أبوك هو السبب الأول فيما نحن وصلناه من البؤس...

سينياباس: الفلاحون حميرٌ ماخلقوا إلا للزرع من الصبح إلى المغرب والبحارة أيضا فالناس هنا وهنا وهنا طبقات. غبيٌ من يترك تايلوس للجشع الفلاحي المتلاطم كالموتى فوق الساحل. هل أترك بركان الفلاحين يؤثر في نفسيات عبيدي، فلاحي أرض المرجان! إذا كان الحاكم ميناماس ضعيفاً، فأنا لست كذلك.

أبو زيدان: الفلاحون لهم عقل وأحاسيس. ومن يملك عقلاً يملـــك حق الرأي وحق التعبير وحق البحث عن الحيوات الأفضل.

سينياباس: ما دخل الفلاحين مع الحكام، عليك الصمت إذا نطـــق الأسياد.

عذارى: في هذه اللحظة بالذات يموت الفارق بين السيد والعبـــد وبين المالك والفلاح، فنحن لا نتكلم في هذه القاعة عن حكـــم، لكننا نتكلم عن هذه الأرض.

أبو زيدان: ونحن أصحاب الأرض.

سينياباس: وهل تتحداني؟

أبو زيدان: أرضي تتحداك. الأفضل أن ترحل عنا. تتركنا لنمارس حريتنا في أرض لن نتركها لسوانا.

سماهيج: جاء الفارس سينياباس لينقذنا من حكم الطاغي مقشاع. أليس كذلك يا مولاي؟

سينياباس: صحيح هذا يا مولاتي الملكة.

عذارى: مادام صحيحاً فارحل عنا.

سينياباس: ارحل!!

أبو زيدان: إن لم ترحل ستصيبك لعنة تايلوس.

سينياباس (ساخراً): ما هذه اللعنة يا فلاح؟

أبو زيدان: لم يحكم طاغٍ تايلوس إلا وتحّول حجراً بين حجارتها.

سينياباس: (إلى واديان) أي هراء هذا يا واديان.

واديان: لا تهتم يا مولاي. خرافات تتناقلها أفواه الفلاحين.

عذارى: ارحل عن تايلوس ياسينياباس.

أبو زيدان: ارحل عنها أو ستصاب بلعنتها.

سترة: ارحل يا سينياباس.

أصوات (متداخلة):اللعنة سوف تصيبك ارحل ارحل يا سينياباس.

سينياباس: (صائحاً ومتضايقاً) لا لن أرحل عن هذه الأرض. خذوهم للزنزانات. خذوهم.

المشهد الثامن

(القرية، ليل، الهرم، العجوز، كل في زاويـــة، صـــمت رهيب)

العجوز: ماذا تفعل؟

الهرم: لا شيء.

العجوز: لا شيء!

الهرم: لا شيء

العجوز: لكنك مشغول.

الهرم: اعرف ذلك من حركات يديّ.

العجوز: بماذا منشغل؟

الهرم: لا أعرف..

العجوز: لاتعرف؟!

الهرم: هل أحد يعرف ما في داخله؟

العجوز: لا

الهرم: مستاء ...

العجوز: من ماذا؟

الهرم: لا أدري.

العجوز: لا تدري!!

الهرم: هل شرطٌ أن أدري.

العجوز: لا..

الهرم: لكني مستاء وحزين.

العجوز: وأنا أيضا.

الهرم: من ماذا؟

العجوز: لا يحدث شيء في القرية، لا همس لا صخب، لا حراس، صار الجو كئيباً، ما عادت جلستنا في الشارع تعطينا الدهشة، بارباروس مضى وأبو زيدان سجين وعذارى لا أحد يعرف أين تعيش وكيف تنام وماذا تأكل؟ أشعر أني لا أعرفني.

الهرم: وأنا أيضا.

العجوز: لا تعرف نفسك.

الهرم: لا..

العجوز: هل تبغي أن تعرف نفسك؟

الهرم: لا أدري..

العجوز: لا تدري!!

الهرم:لا أدري..

العجوز: هل تعرف أي الأعوام الآن.

الهرم: أعوام الدم.

العجوز: لا يوجد عام يدعي عام الدم.

الهرم: هذا ما أنظره.

العجوز: هل تعرف ماذا تبغي الآن من الدنيا.

الهرم: لا..

العجوز: أعرف.

الهرم: ماذا تبغين؟

العجوز: أصارخ.

الهرم: كيف؟

العجوز: كذا..

(تصرخ كالأطفال الصغار حين الولادة.. لحظات ويتبعها الهرم في تكرار الصرخات فيستمران في الصراخ والبكاء).

المشهد التاسع

نفس المكان، بعد ثلاثة أيام. الوقـــت ليـــل. واديـــان.

سينياباس

واديان: يكفي قلقا يا مولاي فكل الأشياء تسير كما تبغي. فلماذا لا تأكل؟ لا تشرب؟ لا تغفو؟ إنك تقتل نفسك.

سينياباس: ماذا أفعل يا واديان؟ عذارى تقتلني. تتحداني.

واديان: اقتلها.

سينياباس: لا يمكن ذلك.

واديان: حولها جارية في القصر.

سينياباس: عذارى لا يمكن أن تصبح جارية! قد أملكها جـــسداً ، لكن أبدا لن أمتلك الروح الضمآنة في هذا الجسد البحـــري، أنـــا أبحث عن امرأةٍ منذ بلوغي الحلم، وها هي جاءت هذه المرأة لكن كيف؟

واديان: تزوجها..

سينياباس: أتزوجها!! هل تقبل بي.

واديان: أجبرها. افرض رأيك بالقوة. أنت الحاكم.

سينياباس: في مملكة الحب يكون الحاكم والعبد سيان. فلا يحكم في الحب سوى الحب. أحضرها لي.

(يخرج واديان)

سينياباس: أي أرض جئت سينياباس! أرض لم تكن تعرفها، تسمع عنها في الحكايات وتغزوها ولا تعرف، أي الأرض قد جئت. هنا رائحة البحر طيور تنقر الرأس، هنا خارطة التربة دودٌ ينخر العظم كما ينخر ماء جثة الرمل. لماذا جئت تغزو؟ ها غزتك الآن بنت البحر. هل تنجو؟ وهل تقدر أن تأخذها؟ كيف وأنت الآن موتٌ سائر في الريح؟ هل تقنعها يا سيد المرجان؟ يا حارس جذر الرمل، لا تضعف أمام البنت. قد تعبد فيك القوة المتروعة الساقين، قد تعشق فيك الجسد المملوء بالأشواق، قد تهواك، قد..

(يدخل واديان وخلفه عذارى).

سينياباس: إلى (واديان)، اتركنا ..

(يخرج واديان – لحظة صمت) إن كانت لعنة تايلوس ستصيب المرجان فإن جمالك هو هذه اللعنة. من أين أتيت به؟. لا أقصد وجهاً بحرياً ممزوجاً بعواء الشمس ولا عيناً شهلاء كقرص النحل الأشهل في أول أيام الإخصاب، ولكن أقصد روحك رائعة

بشراستها، رائعة بتحديها، رائعة بقساوتها، أشعر أن وراء القسوة قلباً مفتوحاً للفرحة. ما صور القسوة إلا إخفاءٌ للحب.

فما رأيك؟

عذارى: في ماذا؟

سينياباس: أتزوجك.

عذارى (ساخرة): لم أسمع عن صياد يتزوج يا سينياباس فريسته.

سينياباس: لست الصياد ولا أنت بصيدي.

عذارى: ماذا تدعو نفسك؟

سينياباس: قلبٌ يتفتت للحب كما يتفتت قلب الصحراء إلى الماء.

عذارى: صحراء أنت ولكني لست مياهك.

سينياباس: كوني مائي. فأنا جاد في هذا. لا أطلب شيئا آخر في هذا العمر الغائب أكثر من تايلوس وعذارى. هذا يعني أني أملك كل الأرض ومن فيها.

عذارى: لن تقدر أن تملك تايلوس. التايلوسيون إذا صمتوا عاماً أوأربعة أو عشرين سينتفضون كما تنتفض البذرة في التربة، ينتفضون كما تنتفض الخيل إذا تعبت من راكبها السيئ، وحينئذ ليس لها إلا أن ترفسه وتدوس عليه حوافرها. تايلوس لن تصبح ميناءك يا سينياباس.

سينياباس: سأروضها وأحولهـــا عاصـــمتي الأولى. إن لم أقـــدر سأدمرها.

عذارى: تقدر أن تقطع منها الآلاء وتقتلع الأخضر مـــن تربتـــها. تقدر أن تقتل فيها الضرع وتهدمها بيتاً بيتاً، تقدر أن تردم وحـــلا بالرمل المتراكم في صحرائك، لكنك لن تملك تايلوس. أبـــداً لـــن تملكها. تايلوس ليست كبلاد العالم. تايلوس كالبحر وليس هنـــاك بأطراف الدنيا، ملك أو رجل أو عبدٌ يحكم بحراً. البحر هو الناس، هو العامة يا سينياباس، إذا أحبك البحر الواسع لحظتها تقـــدر أن تحكم تايلوس.

سينياباس: هذا ما كنت أراه أمامي، أتصوره بين خيالاتي، سوف أغيّر كل الأوضاع وأبني مدناً بدلا الأكواخ وأزرع قمحـــاً بـــدل الشوفان، فقط كوني جنبي.

عذارى: قد تعمل هذا أو أكثر. ويصدق أمثالك مـــن يحتـــاج إلى اللقمة أو يحتاج إلى المسكن لكن بعد الشبع، وبعد الدفء ســـتبدأ زلزلة الأسئلة المجنونة، أسئلة الناس. لماذا يحكمنا في الأرض غريـــب عنا؟!

سينياباس: اللقمة سيف يخضع كل الجوعى. أطعم من جاع بكسرة خبز يصبح عبداً ومُوال طول العمر.

عذارى: للأرض قوانينٌ لا تعرفها.

سينياباس: قانوني الأوحد أن أضرب بعصاي معارض حكمي.

عذارى: عصاك ستبلى من فرط الضرب، وهيكلك الواقف سوف يؤول إلى السوس.

سينياباس: إني أسخر.. لن أستعمل سيف التجويـــع ولا قـــانون الضرب، فيكفيني أني أملك شيئاً آخر، أنت.

عذارى: أنا؟

سينياباس: أتزوجك، وبذا أملك عبرك تـــايلوس. فأنـــا أدري أن الشعب التايلوسي يحبك أكثر من نفسه، ولذلك ليس هناك بـــديلاً عن هذا.

عذارى : لا أقبل.

سينياباس: غصباً.

عذارى (ساخرة): غصباً عني **!!**

سينياباس (متراجعاً): أعني أن تقتنعي بأن أصبح زوجاً.

عذارى: أبعد هذه الصورة عن ذهنك.

سينياباس: تدرين أني حاكم تايلوس.

عذارى: غير الشرعي.

سينياباس: مادمت الحاكم، من حقي أن أتزوج من أطلب حتى لو بالقوة.

عذارى: تعني أن تغتصب المرأة. في هذه لن تلقاني إلا جثة.

سينياباس: إني أهواك عذارى، ماذا أصنع كي ترضين بحبي؟

عذارى: ارحل عن أرضي.

سينياباس: وتتخذيني زوجاً؟

عذارى: لا..

سينياباس: أهواكِ، ألا تدرين معاني الكلمة.

عذارى: أعرفها ولأني أعرفها أرفض أن أتزوج مغتصباً مثلك.

سينياباس: أرغمك.

عذارى: لا أحد يرغم غير الجثة.

سينياباس: سوف أحوّل هذا الجسد الممشوق كعود القصب الريان إلى جذع منخور تبني الطير لها فيه أعشاشاً.

عذارى: هذا يعني أني سوف أفيد الطائر حتى في موتي.

سينياباس: من أنت!! أي اللعنات أتتني من معرفتي بك في تايلوس الطين. لماذا تقتلعين الرغبة في قلبي، بالحب أحبك، أعشقك مثل جذور النخل تفتش عن ماء في الصحراء، أريدك لي، قربي، أعرف أني أقدر أن أملك كل قلوب نساء الأرض كما أملك بلدانا وعواصم. أعرف أيضا أني لا أقدر أن أفرض حبي، لكني أحلمك زوجاً. هل صعب أن تمنحني إياه الدنيا؟ أرفض حب نساء الأرض

ولا أحصل منك علي قطرة حب رعناء، أفتش عن ورد يكسر حدة أشواكي فألاقي شوكا آخر يمتد علي جسدي.

فلماذا أطلب منك الحب وتعطيني الحقد. لماذا أمنحك الحكم وتسقيني سم القول؟ لماذا؟ أي برودٍ في قلبك. إني أحتاج إلى الدفء وأحتاج إلى الراحة، أعطيني إياها.

عذارى: هل هذا يعني أن تسلخ شاةٌ من جلدها لتحس بدفء الصوف الفارة؟ هل هذا يعني أن تسرق أرضا من فرحتها لتريح فؤادك فوق سرير الراحة؟ هل هذا يعني أن تغتصب الناس لتشفي أمراضك؟ هل هذا يعني أن تغتصب الحكم من الحاكم والخبز من الجائع والأرض من الفلاح، وتعطي العبد قيوداً أخرى حتى ترتاح من السأم الصارخ في الوحدة؟.

سينياباس: الوحدة!! هذا ما أشعره. الوحدة ثلج يتدافع كالزرنيخ من الهامة حتى القدمين، من الجلد إلى الهيكل. كيف ينام الواحد؟ قولي لي كيف أنام؟ إذا نمت قليلا حتى لحظات، أستيقظ مذعوراً مثل الطالع من كهف الجاثوم.

عذارى: أاترك تايلوس لأهاليها. لحظتها قد ترتاح من الكابوس الليلي.

سينياباس: وتتخذيني زوجاً؟

عذارى: لا..

سينياباس: لن أترك تايلوس حتى يقبلني حبك.

عذارى: لا تنبت أرض إلا حسب مشيئتها، فلماذا تطلب مـــا لا أملكه.

سينياباس: سأعذبك ليلا ونهاراً

عذارى: ما همُ الإنسان عذاب الجسد الفاني، مادام هوى تايلوس يجري كالفرحة بين دمي. مادام الناس معي حلموا بحيـــاة أجمـــل، أكثر إشراقاً، فأنا لا أخشى أي عذاب.

المشهد العاشر

باباروس. مجموعة من الفلاحين والبحارة والعبيد والنساء

بارباروس: أصبحنا مكشوفين أمام جنود المرجان. مخابئنا ما عادت تعرف طعم الاستقرار. ما عدنا نعرف أين نكـــون غـــداً دون أبي زيدان ذراعي اليمنى. حركاتي بين قرى تايلوس ما عدت أرى شيئا في الأفق ودون عذارى صرت وحيداً.

الفلاحون: نحن طوع بنانك يا بارباروس. فماذا تأمرنا؟

البحارة: سنجذّف حتى في الصخر لكي نصل الشاطىء. حددْ وقتا لنسير معك.

العبيد: أصبحنا أحرارا عبرك يا بارباروس، لذلك لو تأمرنا بالموت، أطعناك بدون تردد.

بارباروس: سينياباس ذكي جداً، ولهذا يعرف أي مكـــان يرســـل ضربته. هدم الآبار ومازال يواصل في هدم ينابيع الماء الموجودة في الساحل أو في عمق البحر، ومازال يواصل في حرق حقول القمح

لكي يجبر أعيان جزيرتنا بالكف عن السير وراء عـــذارى وقبـــول الواقع، سينياباس يحاول أن يربطنا بعواء اللقمة. جرّب كل الطرق المعروفة والطرق المبتكرة كي يقف الواحد منا ضد الآخر.

التاجر ضد البحارة، والبحارة ضد الفلاحين، وأقنان التربة ضدي. ضد عذارى، ضد الناس جميعاً. في هذا لم يـــنجح أيـــضا. لكن أقبح شيء قام به هو هدم الأجداث. إذا وصل الأمر بأيٍ كان وفي كل الأزمان إلى هدم الأجداث فقولوا إن اللعنة قد خرجت من تربتها. لتصب على من أوقظ لعنتها الأولى، تحويـــل الملعـــون إلى حجر.

البحارة: لكن لم يتحول.

بارباروس: لعنات الموتى أكثر من أن نعرفهـــا، تـــأتي في شـــكل الفيضانات وفي شكل الطاعون، وفي شكل القحط وفي شكل الريح وفي شكل البركان.

الفلاحون: نصاب بها نحن الفقراء.

بارباروس: هذا وضع الدنيا، كان الفقراء ومازالوا حتى الآن وقوداً للتغيير، ونار الأرض بدون وقود لا يمكن أن تبقى دائمة الـــضوء. علينا أن نزرع بعض الحب ليجنيه الأحفاد.

العبيد: مللنا القيد، متى سنكون كما نحلم.

بارباروس: ليست مشكلةً أن تكسر قيداً من حجر وحديد ونحاس، ولكن القيد الأقوى أن نبقى تحت قيود الآخر، تحت قيود الغازي، لا نتكلم إلا حسب مشيئته، لا ندفن موتانا إلا حسب مشيئته، لا نبكي، لا نرقص، لا نفرح إلا في أفراح يصنعها..

يا أحباب جزيرة تايلوس أشعر أن جنود بلاد المرجان غرباء صاروا، غرباء حتى عن بعضهم البعض، فحين يكون اللعب بأجداث الموتى المنتظرين على عتبات الطبقات السفلى مشروعاً ضمن قوانين السائد، قولوا إن نهاية هذا الوقت أتت.

الجميع: لكنا لا نبصر شيئا.

لا نسمع شيئا

لا نشعر شيئا.

بارباروس: أشياء كثيرة من أن نبصرها أو نسمعها أو نشعرها.. تحدث في كل أوان. من شاهد قطرة ماء تتكاثر حتى تصبح نهراً؟ من يسمع نسمة ريح تتقابل حتى تغدو عاصفة. لا شيء يبقى في ما كان عليه. الماضي غير الحاضر والحاضر غير الآتي.

الجميع: آن لنا أن نفرح بالآتي.

بارباروس: بل ننشر فرحتنا في كل العالم. من هذا الميناء الممتد من الجد الأول حتى آخر طفلٍ يولد في هذه اللحظة.

المشهد الحادي عشر

(عذارى – سيناباس)

سيناباس (غاضباً): أصغي يا ابنة ميناماس وضعي قولي في خـــدكِ وشماً. لا أحد في الدنيا عارضني من قبل، ولا حتى حاول أن يعلـــو بالصوت على صوتي. قولي لي أين أرى بارباروس.

عذارى: وراء الأفق.

سيناباس: بلا لف أو لعب أو دوران.

عذارى: هناك وراء الأفق. فباربـاروس هو الحكمـــة والحكمـــة لا يمكن أن تلقاها جاهزة حسب الرغبة. الحكمة يا سيناباس كعطـــر الماء، فحاول أن تتبع هذا العطـــر لتعـــرف أي مكـــان يـــسكنه بارباروس.

سيناباس: سأجعله يشرب ماء ولادته.

عذارى: لن تقدر أن تصطاد خليل التربة بارباروس لأن الفكرة لا يمكن أن تصطاد فحاول أن تفهم.

سيناباس: لا أفهم إلا لغة السيف.

عذارى: إذن ستموت ولن تعرف معنى أن تتحول عاطفة الجسد الإنساني إلى فكر لا يمسّك بالكف ولا ينظر بالعين. هي الفكرة في الرأس.

سينياباس: سأقتلع الرأس وأرميه علي الساحة.

عذارى: الفكرة تنبت في الرأس ولا تبقى فيه، ما إن تكبر حتى تهجره لرؤوس أخرى. كم رأس يا سينياباس ستخلع؟ كم جلدٍ تدخل؟ كم زمن تحتاج لكي تمنع فكرة حب بين الناس والعاب طفولتهم. مجنونٌ أنت.

سينياباس: جنون فيك ومنك.

عذارى (تشير إليه): قلبك هذا لا يمكن أن يعشق غير الموت. فأنت ربيب الموت. إذا لم تقتل أحداً يقتلك السأم السابح في عظمك.

يا سينياباس تعلم. أو حاول أن تتعلم من تجربة الحيوانات، فلا يوجد في الدنيا حيوان يقتل من أجل القتل، ولا يوجد في الدنيا طيرٌ وحشيٌ يصطاد طيوراً لا يحتاج إلى لحمتها، لكنك أنت تقتل مجاناً، تلهو بالناس كما تبغي، لا أعرف تكوينك، جلدٌ مملوءٌ بالوحل، غبارٌ يتحرك بين عروق الناس.

سينياباس: كفى هذراً. لا أحتاج نصائحك الهوجاء المزحوم بالكلمات السوقية.

قولي أين أرى بارباروس ودعيني أغفو.

عذارى: نومٌ لن يأتيك وراحة بال لن تحصل.

المشهد الثاني عشر

القرية، بارباروس، ميناماس، مجموعة أخرى من الجنـــود، متخفين بثياب أهالي القرية.

ميناماس: بارباروس. تأخرت كثيراً يا بارباروس، لماذا لم ترســـل أحداً.. طيراً، حجراً، أي كان لأعرف ماذا يحدث فـــوق الأرض؟ هنا التايلوسيون يموتون من الجوع، من الرعب، من الموت ونحـــن هناك نمزق لحم الأسماك ونرميه للقرش.

بارباروس: ما كانت عندي الفرصة يا مولاي لكي أرسل أخباراً. فالأرض، كما شاهدت، محاصرة، والبحر يعج بأرتـــال العـــسكر والساحة خالية إلا من جند المرجان. وحـــين وجـــدت الفرصـــة سارعت بذلك لكن الدرب المائج.

ميناماس: دعنا من هذا، ما خطتك الآن؟ وماذا تنـــوي؟ فأنـــا لا أعرف كيف أفكر. لا أعرف أي طريق أدخلنا فيـــه مقـــشاع إلى قبضة سينياباس.

بارباروس: دربنا الفلاحين ..

ميناماس: متى نزحف نحو القلعة؟ لا أعرف أن أجلس، لا أعـــرف أن أهدأ، لا أعرف أن أتكلم، أخشى أن يـــزداد القتلـــى وتغـــور الأرض بأوحال الدم. لنبدأ هذه الليلة.

بارباروس: لا يمكن يا مولاي أن نزحف هـــذه الليلـــة، فالبـــدر سيكشفنا لعساكر سينياباس، لذا سيكون من الأفضل لو نمشي في الفجر على شكل مجاميع وقوافل حتى لا يرتاب بنا أحد.

ميناماس: سأتقدكم.

بارباروس: لا يا مولاي عليك بأن تبقى في الخلف فنحن لا نعرف ما يخفيه لنا الدرب.

(صمت) عذارى في السجن.

ميناماس (كالملدوغ): لماذا لم تخبرني من قبل؟

بارباروس: ما كنت أريد . وصولك في أسرع وقت كـــان هـــو المطلوب. وقد أجلت عن الدنيا أخبار عذارى حتى تصل الأرض.

ميناماس: عذارى تسجن! كيف تركت عذارى تـــسجن!! هـــذه الطفلة لا تتحمل نسمة ريح، لا تتحمل ظلمة ليل، لا تتحمـــل أن تبقى جائعة، كيف لها أن تسجن يا بارباروس!! لماذا لا تخرجهـــا حتى لو ضاعت بعض فلول عساكرنا

بارباروس: كانت معنا، ما عادت الطفلة يا مولاي، عذارى امرأة ناضجة تعرف كيف تقول وفي أي الأرض تسير. بدون عذارى ما كان لنا أن نخطو الخطوة في جمع الناس على هدفٍ واحد. كانـــت معنا، لكن العساكر هاجمتنا في القرية ليلاً. كانوا يبغون عـــذارى، أخذوها وكثيرٌ من أبناء قرانا. فهربت لكي أكمـــل اســـتعدادات الزحف.

ميناماس: يا لتعاسة حظي!! يا لعذارى من حربٍ لا تعرفها وحياة لم تتوقعها في هذا العمر.

بارباروس: عذارى يا مولاي هي الضوء الساطع في كل أراضـــي تايلوس! لولاها ما كنا نقدر أن نبني رجلاً واحداً.

ميناماس: وسماهيج الحمقاء.

بارباروس: يقولون..

ميناماس: عرفت من الجند.. فلا داعٍ أن تكمل.



المشهد الثالث عشر

القصر – ليل، سيناباس، واديان، القائد.

القائد: ملَّ الجند من الصيد على الساحل يا مولاي، ومن هذا الممل القاتل قاموا بالغارات على أكواخ الفلاحين، وقد هتكوا أعـــراض النسوة والفتيات، واغتالوا من يحمل ما يشبه سيفاً أو خنجراً.

واديان: أدبهم.. اسجنهم.

القائد: ليسوا أفرادا كي نعمل هذا. أغلبهم مل من الصمت ومـــل الأكل والنوم. فلا شيء يحدث. لا أمر يأتي. ومقاومة الفلاحـــين أصاب العقم، فُحولتها بعد دخول أبي زيدان إلى الـــسجن وقـــد كسرت أجنحة بارباروس وما عاد يشك الإبرة في فتق عصابته.

واديان (ينتبه إلى قلق سيناباس): ما بك يا مولاي؟

سيناباس: لا أدري.

واديان: اتركها يا مولاي وخلص نفسك من هم القلـــب. فمـــا ياMولاي لأمثالك إشغال الفكر بما يمنع إشعال الفكرة في تنور البال.

تعال نزيح الهم بعزف أو برقص ينسينا ما نحن فيه ويدخلنا للسير على درب نشتاق إليه.

سينباباس: القدرة ليست لي. هذه البنت الهوجاء المنسوجة من ألياف الموج تدمرني كالطفل يدمر ذاكرة الجد. دخلت بلاداً في الشرق، وأخرى في الغرب، ولا أعرف من أي طريق أدخلها. روضت الوحش ولا أعرف كيف أروّضها؟ من أعطاها قوة برق تحرق من قابلها؟ من علمها النطق بحرف لم يألفه العقل؟ ومن دربها للرد بما لا يتوقعه السائل؟ أقدر أن أردم بالرمل الصحراوي الفائض عن بلد المرجان مياه البحر، وأقدر أن أرفع سداً في وجه الفيضان ولكني لا أقدر أن أقنع هذه البنت الشرساء بما يحمله قلبي من حب. أشعرها أقوى مني وأنا الحاكم.

القائد: لنعذبها فتوافق.

واديان: كلا.

سينياباس: تعذيب عذارى يحمل معنى تعذيب الذات. عذارى ليست امرأة كنساء الدنيا، بل نبعاً لا أعرف من أي مكان ينبع وإلى أي مكانٍ سوف يصب. عذارى ليست جسداً، بل ناراً حامية تحرق من شاهدها أو كلمها أو لامسها، ناراً تحرق جوفي. رأسي، شرياني، كيف أغيرها، أطفيها، أتخلص منها؟ هل أحرقها، لو

أحرقها أحرق نفسي، لو أقتلها أقتل حبي، عمري، معناي، فمـــاذا أفعل؟

القائد: لا أعرف

واديان: الأمر يعود إليك. هموم الحكم من الممكن أن نتناقش فيها، لكن القلب العاشق لا يتحمل رأيا مهما كان الرأي.

سينياباس: وهذه مشكلتي، من يرغب بي لا أرغب فيـــه، ومـــن أرغب فيه لا يرغب بي.

(تدخل سماهيج بثياب النوم، سينياباس يشير إلى الآخـــرين بالخروج فيخرجان)

سماهيج: إنك أكبر من أن تتعذب يامولاي.

سينياباس: عذارى.

سماهيج: هل أحد يأكل ما لم ينضج بعد، مراهقة لا تعرف شـــيئاً، ما خاضت تجربة في الحب، فدعها، فكر في تدبير شئون الحكـــم، وما يتبعه من استقرار أو سوف يـــضيع إذا لم تمـــسكه بالـــضرس والناب.

سينياباس: أنا إنسان ما أحصله لا يتركني، ولذلك لا أحدَ يقدر أن يأخذ مني الحكم.

سماهيج: كما جاء الحكم إليك يؤول لغيرك، فتـــدبر أمـــرك يـــا سينياباس كقائد فلكٍ في اللجة لا كالبحار.

سينياباس: ماذا تعنين؟

سماهيج: إذا أحبك الناس أطاعوك وخروا تحت نعالك.

سينياباس: لا حب يأتي بالسيف ولا عشق يأتي بعصا.

سماهيج: الحب معايشةٌ

سينياباس: لم أعرفها حتى الآن.

سماهيج: أنا أعرفها كأصابع كفي. فلقد مارست الحكم بحب لم تعرفه امرأة قبلي أو بعدي. وعرفت السبب الأقوي في ديمومته.

سينياباس: ما هو؟

سماهيج: حوّل كل أهالي تايلوس صرعى حبك. دعهم يرتجفون إذا سمعوك تقول كلاماً عادياً، يتحول في الآذان إلى شعر. دعهم في الليل يصلون باسمك حتى إن نهضوا يبقى الاسم نهارا في الدم. يسمون الأطفال باسمك والساحات باسمك والطرقات باسمك.

سينياباس: هل شعب في الدنيا يمكن أن يعشق من يحتل أراضيه؟

سماهيج: يمكن ذلك في حالات خاصة.

سينياباس: وهي؟

سماهيج: أن تتزوجني.

سينياباس: ماذا؟

سماهيج: إن زواجك بي معناه وصولك للناس خصوصاً أنـــك في هذه اللحظة تشعر بالعزلة. إن الهوة واسعة بينك والناس على طول جزيرة تايلوس وبلاد المرجان. وتايلوس الخضراء، كما تعرف يـــا سينياباس، تحب الملكة وأنا الملكة.

سينياباس: كنتِ الملكة.

سماهيج: مازلت. فلم يصدر أمرا منك بذلك، ولا من مقـــشاع، ليبعدني عن حقي في الحكم، لذلك أعرض نفسي يـــا ســـينياباس عليك لكي نتشارك في الحكم، ونردم أسوار العزلة تلك المرفوعـــة بين الأعلى والأسفل. بين الحاكم والمحكومين.

سينياباس: أنا لا أقبل.

سماهيج: فكر.

سينياباس: لا يحتاج الأمر إلى تفكير ولا يوجد في الدنيا رجل يحمل ذرة عقل يمكن أن يقبل هذا العرض المجحف في حقي باللذة.

سماهيج: لا تقبلني. من أنت!! وما أصلك. ما فصلك. حتى ترفض عرضي.

سينياباس: ليس الأصل وليس الفصل، وليست كل جذورك مـــا أتكلم عنه الآن، ولكني أرفض أن أتزوجك.

سماهيج: ما أغباك لترفض أجمل امرأة تايلوسية. امرأة يحلمها كـــل ملوك الأرض. أشير بظل السبابة حتى في الليل، فيصطدم العشرات وفي الحال يخرون أمامي.

سينياباس: لا أتصورني منهم، فأنا أبحث عن امرأة.

سماهيج (مقاطعة بدلع): ناضجة ولها قد ممشوق مثلي.

سينياباس: عن أي نضوج تحكين. جمالك أصبح صحراء، لـــو أني فتشت العمر لما شاهدت به واحة ماء تطفئ شيئا من ظمئي. قدّك صخر لعبت فيه الريح كما يلعب حقد الفيضان بجدران الـــضفة. وعيونك ليست إلا كهفان بلا ضوء وهواء تريان العـــشبة غابـــاً والكلبة فيلاً، وشفاهك قبرٌ مفتوح تخرج منه رائحة الروح المغزولة من وحل مخلوط ببقايا الحيوانات، وأسنانك سوسٌ يهجم في وجهي قبل خروج الكلمة من شفتيك. فحسي يا هذه، حسي! أولا توجد مرآة في غرفتك.

سماهيج: إنك تقتلني.

سينياباس: بل أرغب في إخراجك من أوهامك. من أضغاث امرأة تتصور أن تبقي سيدةً حاكمة في كل الأوقات. لقد فاحت رائحة الجسد الذاوي وهماً، فأريحيني منك ومن أشلائك، لولا الثوب تناثر جسمك في الصالة.

سماهيج (لم تيأس بعد): جسدي مازال هو الأجمل والأنقى من كل الأجساد، تزوجني كي تعرفه.

سينياباس: لا أشرب من كأس لوثها غيري.

سماهيج (تحاول أن تصفعه): اخرس يا كلب.

سينياباس: (وهو يمسك يدها قبل أن تصفعه): ما أنت سوى بئـــرٍ لعقت منه كل كلاب العالم، لا بل جسدٌ ممتلي ببصاق العامة. هل ظل بطول وعرض جزيرتكم عبدٌ لم يبصق في البئر العام؟ وهل ظل على الساحل بحارٌ أو ملاحٌ لم يلمس هذه الصخرة؟ لا أتـــصور في أعراقك قطرة دمٍ، من أي زقاقٍ تايلوسي جلبوك إلى القصر؟.

سماهيج: كفي! لا تكسر كفي.

سينياباس: ابتعدي عن دربي يا أقذر مخلوق نظرته عيناي.

(يرميها على الأرض بعيداً).

المشهد الرابع عشر

أبوزيدان، عذارى، سترة، كل منهم بعيد عن الآخر. في زنزانة منفصلة، الوقت ليل.

(بقعة ضوء على أبي زيدان)

أبو زيدان: النمل! عظيم هذا النمل، كأن خلاصة كل العالم في خطوته، في حركات يديه، وفي شم الوجبة، شم الأنثى، شم الأخطار، وشم فصول العام وقت تغيرها، يعرف كيف يغير جلدته، لا يتعب، تسقط منه حبات القمح فيرفعها ثانيةّ إن لم يقدر يخبر زوجته والأطفال ليأتوا إليه.

عذارى (بقعة ضوء على عذارى): ما أعجبها هذه الدنيا، في شهر واحد، شهرٌ تتغير فيه الأشياء كما لايمكن أن يتصورها العقل الواسع. شهر في عمر السنوات وفي عمر القرن! ما أعجبها!

(بقعة ضوء على سترة)

سترة: هل هذه آخر العالم؟ مثل الخرفان نعيش، نُسمن حتى ندخل للمسلخ، حقاً هذه آخرة العالم. تفّ.

(بقعة ضوء على أبي زيدان)

أبو زيدان: لماذا لا يصبح عقل الإنسان كعقل النمل؟ إذا عجز الواحد منا يرتاح قليلا ليعود إلى الساحة ثانية، ويواصل نقل الحلم إلى أصحاب الحلم.

(بقعة ضوء على عذارى)

عذارى: بالأمس الأول كنت عذارى ابنة ميناماس أميرة تايلوس، بالأمس تحولت إلى حاكمة لم تحكم أحداً، واليوم هنا.

(بقعة ضوء على سترة)

سترة: رأس الإنسان حصاة، كيف تفكر؟ لا أدري، لا أدري. ما الفارق ما بين صحيح هناك وأخطاء هنا؟ ما الفارق بين القاتل والمقتول؟ وما الفارق بين الطاغي وضحيته؟ كلٌ ينظر حسب مصالحه، عبثٌ هذا العيش. وهذا الكون بلا معنى.

(بقعة ضوء على أبو زيدان)

أبوزيدان: أيتها النملة لا تقفي. إن كان الحمل ثقيلاً ادعي الأصحاب إليك. سيأتون جماعات يأتون بلا تنظيم. جماعات كالفوضى الخضراء، سيأتون كما لا يتصور عقل أو يعرفه تاريخ

أوأزمنة. ها تتحرك نحو الباب، ترى واحدة أخرى، همس ما أعظم مملكة النمل!!

(بقعة ضوء على عذارى)

عذارى: لا شيء غير الماضي الممتد من النار الأولى حتى أطـــراف اللحظة. لا شيء غير الأفق الغامض مثل غموض الموج أمام عيون الطفل ومثل غموض الليل الأزرق، مثل غموض العشبة وهي تحاور ملحاً في سرداب الطين، هو الحاضـــر معتقـــل في كـــف الجنـــد الصحراوي، هو الحاضر قبرٌ لا نعرف أي الوقت سيبلعنا.

(بقعة ضوء على سترة)

سترة: لو ظل هنا سينياباس فلن تبقى لجزيرة تايلوس أي حيـــاة. لماذا جاء من الصحراء؟ لماذا جاء لنا هذا الملعون؟ أما يكفيه المـــاء وكثبان الرمل المرجانية حتى يأخذ هذه التربة منا؟

(بقعة ضوء على أبي زيدان)

أبو زيدان: لو أني أعرف نطق النمل الحامل خطوته لعرفت الحكمة من خلق الكون، عرفت لماذا اللون يضيء الروح بما لا تفسير لـــه. النمل يعي خطوته ولماذا يحيا، لا يقتل آخر مـــن أجـــل القمـــح، يساعده في حمل الثقل ونحن في ولع نتقاتل. أعرف أني لو قاتلـــت فمن أجل تراب صباي، تراب أبي، أجدادي، من أجـــل حـــضور

الساحل في ذاكرتي، لكن المعتوه أمير المرجان لماذا يرغب في قتلي، قتل الناس، صحيح لو نطق النمل وشاهد حال الإنسان لمات مــــن الضحك.

(بقعة ضوء على عذارى)

عذارى: هل أخرج من هذا السجن؟

(صمت)

لماذا أحرق أعصابي؟ ليكن ما سوف يكون.

(بقعة ضوء على سترة)

سترة: ليست هذه الدنيا إلا وجبة حلوى نأكلها كي تتحــــول في آخر الأمر إلى أوساخ. لماذا نذهب بالتفكير بما لا معنى له؟.

المشهد الخامس عشر

ساحة عامة، الوقت نهار

سينياباس يجلس على كرسي هزاز، واديان يقف بجانبه، القائد، مجموعة من الحراس من الطرف المقابل فلاحون، عبيد، بحارة، في الوسط عذارى منفوشة الشعر، ممزقة الثياب، أبو زيدان بعيداً عنها.

أبو زيدان: ماء – ماء – قطرة ماء..

سترة (تهزه): مَنْ وضع الملحة في جلدي؟ يا طباخ اللعنة كيف تضع الملح على شفتي بدل السكر. إن عذارى..

سينياباس: إلى الجنود.. فليضرب ابن الفلاحة حتى يعرف كيف يحدث من هم أعلى منه مرتبةً أو شرفاً.

(الجنود يضربون أبا زيدان بالسياط)

(إلى عذارى)

ليكن ضرب حبيبك يا ابنة ميناماس المجنونة كحلاً لعيونك.

اضرب لا تتوقف يا كلب.

(الجنود يواصلون الضرب)

عذارى: ها. ها. ما أجمله كحل الضرب!!

واديان: كفى يا مولاي.

سينياباس: اخرس.

سترة: من سكب الماء على الأرض.

عذارى: آه لو أقدر أن أتحول ماء أو مطراً أو قطرات ندى حتى أرويكم. آه لو تتحول كل مساماتي جدول ماء، نبعاً، دالية، بئراً كي لا يشعر منكم أحد بالظمأ القاتل. آه لو أمنحكم بعضا مما أعطيتوني إياه.

سينياباس: بيديك تكونين كما تبغين. أشيري بالإصبع لا أكثر. اقتنعي بي.

عذارى: لا.

جمهور

سينياباس: أقتلها اقتلها.

جمهور

تايلوس: اصفح عنها يا مولاي.

أبو زيدان: ماء.

سماهيج (تدخل سماهيج منفوشة الشعر، مجنونة) ريش الكلب على وجه الحاكم، ذيل الحاكم في وجه الكلبة، تايلوس البحر تنام بظل الخيمة، والخيمة من أوعية الأطفال. تعالوا يا أطفال نغني، نلعب، من يعرف ماذا صنعت خيل الصحراء بأحلام الساحل. هيا هيا نلعب.

سينياباس (إلى عذارى): عنادك أخرج أمك من كهف العقل وألقاها كالجيفة في هلوسةٍ لا حد لها.

واديان: مولاي.

سينياباس (لا يهتم به): من عاندني ليس له غير عذابي.

القائد: اقتلها.

سينياباس: لا. دعها تتعذب. ما أجمله التعذيب ها. ها. أشعر بالرعب يدور كجند بين خلايا الأقدام، يسيرون إلى الأعلى، حيث القلب، وحيث الشفتين. جميلٌ هذا الرعب، أراه يدغدع رأس عذارى ها. ها.ها. اضرب لا تتوقف يا كلب. جبان من لا يضحك.

اضحك.

(جمهور سينياباس يضحكون)

هل أقتلها.

(بين الضحك)

جمهور سينياباس: اقتلها لنراها كيف تموت

واديان: مولاي. اقتل من شئت ولكن لا تقتلها.

سينياباس: واديان اخرس. لا تتدخل في رغباتي.

واديان: أخشى أن تقتلك اللعنة يا مولاي.

سينياباس: إذن أقتلها أنت.

واديان: أنا. لا.

سينياباس: أو تعصيني.

(إلى الجمهور) واديان سيقتلها.

واديان: اأعذرني يا مولاي.

جمهور سينياباس: اقتلها . أقتلها . أقتلها.

سينياباس: أتخون اللقمة يا ابن المعتوهة. اقتلها أو أخرج روحك من هذا الثوب.

واديان: يدي لن ترفع يا مولاي.

سينياباس (ينظر إلى واديان. ثم يفاجئه بطعنة خنجر):إذن خذ يا خائن.

(واديان يتطوح فوق الخشبة إلى أن يسقط)

مات الخائن.

جمهور سينياباس: مات الخائن. مات الخائن.

عذارى: يحيا سينياباس. يحيا سينياباس..

أبو زيدان: قد يحيا، لكن مثل الشجر العاقر، مستقبله النار.

سترة: قطرة ماء يا أوغاد.

سماهيج: ها. ها.ها لا عبني يا بابا . لاعبني يا بابا.

(في هذه الأثناء يدخل ميناماس متخفيا هو ورجاله، مرتدين ملابس جنود بلاد المرجان ويتقدمون بين الجنود والجمهور. لا أحد يلاحظ ذلك، بسبب الانفعال).

سماهيج: لاعبني يا بابا. يا بابا لا عبني.

(سينياباس وجنوده وجمهوره يضحكون على حركات سماهيج المجنونة)

سينياباس: حتى يعرف كل التايلوسيين نهاية دولة ميناماس. سأقتلع الآن عيون عذارى، وأعلقها ذكرى يحفظها أبناء بلاد المرجان. وحتى لا يتلوث سيفي أدعو كل القواد لخلع عيون عذارى. هيا.

(يتقدم مجموعة من القواد إلى عذارى لخلع عيونها) اللعنة.

واديان: اصمت يا جيفة.

سينياباس (يرفع القوادون سيوفهم. تقفز مجموعة من التايلوسيين تحمي عذارى من السيوف، فتموت. تبدأ الإضاءة في تشكيل نوافير حمراء تتسع)

سينياباس (صارخاً): هاتوا لي العين.

(القوادون يرفعون سيوفهم، تتقدم مجموعة أخرى وتحمي عذارى، لتموت وترتفع النوافير)

سينياباس: هاتوا لي العين

(في لحظة انشغال سينياباس وقواده وجنوده بقتل البحارة والعبيد والفلاحين، يسرع ميناماس ويطعن بالسيف سينياباس، وتبدأ معركة يقتل فيها جنود سينياباس).

(سينياباس يدور على الخشبة)

سينياباس: الطعنة جائتني من خلف يا ميناماس.

ميناماس: اشرب موتك يا تافه.

(يخر سينياباس على الخشبة، يركض ميناماس إلى عذارى)

ميناماس: يا فلذة روح التايلوسيين.

عذارى: أبي.

ميناماس: روحي.

عذارى: أنظر أفقاً مملوءاً بنوارس لا تخشى فخ الصياد، تطير هنا وهناك وتحمي تايلوس من غيم يشبه جوع الصحراء. أبي لا تترك فلاحيك، أبي لا تترك عبداً في أرضك يبكي جوعاً أو بحاراً لا بيت له، لا تترك دمعة حزن تسقط من عين الطفل.

ميناماس: ابنة روحي.

عذارى: الأرض ستبقي للناس، فما أحلى أن تشعر يوما بأحاسيس الناس.

ميناماس: عذارى. أفديك بروحي، لا تمضي عن الأرض، عن الحب، عن التايلوسيين.. عذارى.

عذارى: يكفيني أني عشت كما أحلم في العيش ومت كما أحلم بالموت.

ميناماس (صارخاً): عذارى.

الجميع: عذارى..

الجميع يتقدمون ويحملون عذارى. موسيقى جنائزية.

صوت جماعي:

عذارى يا مدى يمتد مثل الريح بين الريح
عذارى يا ندى يشتد بين الرمز والتصريح
كلامك في الصدى باقٍ ولو ملئوا الفضا تجريح
إذا زرعوا الزنازن والمذابح والضحايا في بوادينا
وإن قطعوا الزهور السمر من ضحكات وادينا
فيكفينا بأن عيونك في الصعب حادينا
سنحياك ونحيا الحلم في وطن تحدي الريح.



نبذة عن الشاعر

علي الشرقاوي

- من مواليد المنامة – البحرين عام ١٩٤٨
- عضو أسرة الأدباء والكتاب في البحرين
- عضو مسرح أوال.
- بدأ نشر نتاجه الشعري عام ١٩٦٨
- رئيس القسم الثقافي بجريدة الوطن
- نشر أعماله الإبداعية الصحف والمجلات العربية الخليجية

صدر له الأعمال الشعرية التالية:

أولاً: باللغة الفصحى

- الرعد في مواسم القحط – البحرين ١٩٧٥
- نخلة القلب – بغداد ١٩٨١
- هي الهجس والاحتمال – بيروت ١٩٨٣
- رؤيا الفتوح البحرين – السعودية ١٩٨٣
- تقاسيم ضاحي بن وليد الجديدة – البحرين ١٩٨٢
- المزمور٢٣ (لرحيق المغنّين شين)– بيروت ١٩٨٣
- للعناصر شهادتها أيضاً أو المذبحة – البحرين ١٩٨٦
- مشاغل النورس الصغير – البحرين ١٩٨٧
- ذاكرة المواقد – البحرين ١٩٨٨

- مخطوطات غيث بن اليراعة – البحرين ١٩٩٠
- واعرباه – البحرين ١٩٩١
- مائدة القرمز – البحرين ١٩٩٤
- الوعلة – بيروت ١٩٩٨
- كتاب الشين – البحرين ١٩٩٨
- من أوراق ابن الحوبة بيروت– البحرين ٢٠٠١
- زرقة الأشهل – البحرين ٢٠٠٣
- أحجار الماء البحرين ٢٠١٠
- مجاهدة الأنغام الهاربة (مختارات) – القاهرة ٢٠١٠
- البحر لا يعتذر للسفن بيروت– البحرين ٢٠١١

ثانياً: بالعامية

- أفا يا فلان – البحرين ١٩٨٣
- أصداف – البحرين ١٩٩٤
- بر وبحر (مواويل) – البحرين ١٩٩٧
- لولو ومحار – (الجزء الأول) – البحرين ١٩٩٨
- سواحل صيف – البحرين ٢٠٠٠
- برايح عشق البحرين – ٢٠٠١
- حوار شمس الروح البحرين – ٢٠٠١
- لولو ومحار (الجزء الثاني) البحرين – ٢٠٠١
- غناوي بو تعب البحرين – ٢٠٠٨
- ملفى الأياويد البحرين – ٢٠٠٨

- من اللي يخاف من إسرائيل البحرين - ٢٠٠٩
- بعد لك عين البحرين — ٢٠١٠

ثالثاً: مجموعات شعرية للأطفال :

- أغاني العصافير البحرين - ١٩٨٣
- شجرة الأطفال البحرين - ١٩٨٣
- قصائد الربيع البحرين - ١٩٨٩
- الأرجوحة البحرين - ١٩٩٤
- الأصابع البحرين - ١٩٩١
- أغاني الحكمة البحرين - ١٩٩٦
- العائلة البحرين - ٢٠٠٠
- أوبريت يد الغضب - البحرين ٢٠٠٠
- الأمنيات - البحرين ٢٠٠٢
- قصائد الحفيد - البحرين ٢٠٠٦
- أغاني النخلة — البحرين ٢٠١١

رابعاً: صدرت له الأعمال المسرحية التالية :

- مفتاح الخير (مسرحية للأطفال) - البحرين ١٩٨٤
- الفخ (مسرحية شعرية للأطفال) - القاهرة ١٩٨٩
- الأرانب الطيبة (مسرحية للأطفال) - البحرين ١٩٩٠
- بطوط (مسرحية للأطفال) - البحرين ١٩٩٠
- السمؤال (مسرحية شعرية) - القاهرة ١٩٩١
- عذارى (مسرحية شعرية) - البحرين ١٩٩٤

- خور المدعي (مسرحية شعرية عامية) – البحرين ١٩٩٥
- البرهامة (مسرحية شعرية)– بيروت ٢٠٠٠
- طرفة بن العبد ومسرحيات شعرية أخرى – البحرين ٢٠٠٨
- ثلاثية الزرقاء (مسرحية شعرية) – البحرين ٢٠١٠
- نصوص مسرحية بحرينية: إبراهيم بحر – أمين صالح – علي الشرقاوي – فريد رمضان الشارقة – دائرة الثقافة والإعلام ٢٠١٠

خامساً: الأعمال التي شارك فيها للتليفزيون :

- أيام الرماد: سهرة عرضها تليفزيون البحرين. إنتاج تليفزيون البحرين
- العطش: سهرة اشترك فيها مع أمين صالح وعرضت في دول الخليج العربي. إنتاج مسرح أوال.
- الحاجز: أول فيلم روائي بحريني. شارك في كتابة الحوار مع أمين صالح.
- غناوي بو تعب: "فوازير رمضان"
- الأعمال التليفزيونية التي كتب أغانيها: البيت العود – فرجان لوّل – ملفى الأياويد – حزاوي الدار – سعدون مع فتحية عجلان — سرور – نيران مع فتحية عجلان – السديم – طعم الأيام – دمعة عمر– قيود الزمن – متلف الروح – حاير طاير – غناوي المرتاحين

سادساً: المهرجانات والمؤتمرات التي شارك فيها:

المربد – جرش – الجنادرية — القرين – مهرجان الشعر العربي بالقاهرة بالإضافة إلى مهرجانات شعرية في الكويت والمغرب – والإمارات ومصر – تهريب الشعر — ألمانيا ٢٠٠٩ – مهرجان سيت العالمي ٢٠١٠– مؤتمر الجزائر – مؤتمر بغداد — دمشق

سابعا :الدراسات الخاصة عن تجربته :

- كتاب "قصيدة حياة" قراءة في قصيدة تقاسيم ضاحي بن وليد الجديدة – د.علوي الهاشمي ١٩٨٩ م.
- كتاب "البحر مستقبل الفيافي" – محمود عبد الصمد زكريا، الإسكندرية
- علي الشرقاوي – مكي سرحان
- عشرات الدراسات لنقاد من الوطن العربي وطلبة الجامعات العربية.

ثامنا: الجوائز والأوسمة :

- جائزة أفضل نص مسرحي في مسابقة التأليف المسرحي
- بدولة البحرين عام ١٩٩٨– مسرحية البرهامة
- الجائزة الثالثة في مسابقة التأليف المسرحي عن نص مسرحية (تراجيديا الزرقاء عام ٢٠٠٠)
- الجائزة الأولى في مسابقة التأليف المسرحي الدورة الثالثة عام ٢٠٠٢– عن نص (من الذي قتل الزمة)
- جائزة الكتاب المميز الأولى في مجال الشعر عن ديوان (من أوراق ابن الحوبة) عام ٢٠٠٢:
- وسام الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة من الدرجة الرابعة ٥ يونيو ٢٠٠١
- وسام الكفاءة من الدرجة الأولى – ١٦ أكتوبر ٢٠٠٢

ترجمت قصائده إلى: الإنجليزية، الألمانية، البلغارية، الروسية، الكردية، الفرنسية، الصينية، ترجم الكثير من القصائد الإنجليزية والكندية والهندية إضافة إلى مسرحيات عديدة للأطفال والكبار.